شرح
العقيدة الواسطية

١٤٢٤هـ

لفضيلة الشيخ / حمد بن عبدالله الحمد حفظه الله

تاريخ الإضافة / شوال / ١٤٣٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

العقيدة الواسطية

أما بعد : فإن طلب العلم فريضة على كل مسلم ، كما ورد بذلك الحديث عن النبي عليه الصلاة والسلام ، فيما رواه ابن ماجه وغيره ، وهو حديث حسن . وقال فيما ثبت في الصحيحين : " **من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين** " .

وظاهر الحديث : أن من لم يرد به خيراً فإنه لا يفقهه في الدين ، هذا هو مفهوم المخالفة من هذا الحديث المتفق عليه .

وهذه المجالس نتدارس فيها – إن شاء الله – ما يحتاج إليه المسلم سواء مبتدئاً في طلب العلم ، أو كان ممن يشتغل في الدعوة إلى الله عز وجل ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، أو كان أيضاً ممن يتعبد الله عز وجل فيما يتعلمه من العامة ، وذلك لأن العلم العيني هو العلم الذي تصون به اعتقادك وتصون به معاملاتك من الخطأ .

ونتدارس – إن شاء الله – كتاب الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

قال شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى : [بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله ، وكفى بالله شهيدا ، وأشهد أن لاّ إله إلاّ الله وحده لا شريك له إقرارا به وتوحيدا ، وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً مزيدا

أما بعد : فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة ، وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت ، والإيمان بالقدر خيره وشره] .

هذه الرسالة هي التي بين أيدينا هي رسالة الواسطية : نسبة إلى واسط من بلدان العراق ، وينسب إليها القاضي رضي الدين الواسطي ، وهو الذي سأل شيخ الإسلام أن يكتب له هذه الرسالة ليعتقدها وأهل بيته فكتبها له – رحمه الله تعالى - .

ومؤلفها : هو الإمام المجدد المصلح تقي الدين شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحراني ثم الدمشقي ، المتوفى سنة سبعمائة وثمانية وعشرين من الهجرة النبوية (٧٢٨ هـ).

افتتح – رحمه الله – هذه الرسالة بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز ، واقتداء بالنبي ﷺ فإنه كان يفتتح كتبه بالبسملة كما في كتابه لهرقل عظيم الروم ، كما ثبت في الصحيحين .

وأما ما رواه الرهاوي والخطيب البغدادي : أنّ النبي ﷺ قال : " كل أمر لا يبدأ ببسم الله فهو أقطع " فالحديث لا يصح ، إسناده ضعيف جداً ، رواه الخطيب البغدادي ، ورواه الرهاوي الحافظ في أربعينه ، لكن الحديث لا يصح .

وقوله : (الهدى) : العلم النافع .

وقوله : (ودين الحق) : العمل الصالح .

فقد بعث الله نبيه بالعلم النافع والعمل الصالح .

والصلاة على النبي ﷺ من الله بمعنى الثناء أي بأن يثني الله على نبيه عليه الصلاة والسلام في الملأ الأعلى ، فإذا قلت : اللهم صلّ على محمد : أي اللهم أثن عليه عند ملأك الأعلى .

قوله : (تسليماً مزيدا) : أي زائداً على الصلاة عليه .

قوله : (اعتقاد) : الاعتقاد مصدر اعتقد أي اتخذ الشيء عقيدة .

مأخوذ من العقد : والعقد هو الربط ، تقول عقدت الحبل أي ربطته .

والعقيدة : هي ما يعقد عليه المرء قلبه أي جازما من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره .

(الفرقة) بكسر الفاء هو الطائفة ، وهذه الفرقة التي يذكر الإمام شيخ الإسلام عقيدتها هي الفرقة الناجية المنصورة، ناجية من عذاب الله ، ناجية من الشرك ومن العقائد الباطلة ، وهي منصورة بالحجج والبراهين .

فهي ناجية من عذاب الله – سبحانه وتعالى- فقد ثبت في سنن أبي دود وغيره : أنّ النبي ﷺ قال : " إنّ أهل الكتاب افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين فرقة ، وإنّ هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلاّ واحدة وهي الجماعة ، وسيكون في هذه الأمة أقوام تجارى – أي تتجارى – بهم الأهواء كما يتجارى الكَلَب – وهو الداء المعروف أي عندما يعضّ الكلب المسعور الإنسان فإنه يصاب بالسعر هذا هو الكلَب – في صاحبه فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلاّ دخله " .

وفي سنن الترمذي وغيره والحديث حسن لغيره : أنّ النبي ﷺ قال : " هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي " .

إذاً : لهذا الحديث سموا بالطائفة الناجية ، لأنّ غيرهم من الطوائف متوعد بالنار ، لقوله عليه الصلاة والسلام في الحديث المتقدم : " كلها في النار " فهم ناجون من النار .

وأما كونها طائفة منصورة فذلك لأنّ هذه الطائفة غالبة بحججها وبراهينها .

تعلمون أنّ هذه الأمة من جهة السيف ، الأمر بينها وبين الأمم الأخرى دول ، والعاقبة للمتقين .

وأما من جهة الحجة والبرهان فإنّ هذه الأمة حجتها هي الحجة الظاهرة في كل حال في كل زمن ، فحجتهم حجة ظاهرة .

وسميت بالطائفة المنصورة : لما ثبت في الصحيحين : أنّ النبي ﷺ قال : (**لا تزال طائفة من أمتي على منصورة ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله ، وهم على ذلك**) .

قال : (أهل السنة والجماعة) : سموا بأهل السنة لتمسكهم بها ، فهم متمسكون بالسنة قائمون بها متواترها وآحادها.

فقد ثبت في مسند أحمد وغيره ، وقد رواه بعض أهل السنن ، وهو حديث صحيح عن العرباض بن سارية – رضي الله عنه – قال : (**وعظنا رسول الله ﷺ موعظة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا ، فقال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمّر عليكم عبد حبشي ، فإنّه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإنّ كل محدثة بدعة**) .

إذاً : سموا بأهل السنة لتمسكهم بها .

وسموا : بالجماعة لاقتدائهم بالصحابة رضي الله عنهم أي بالسلف الصالح ، قال تعالى : ﴿ **فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا** ﴾ أي بمثل ما آمنتم به أيها الصحابة فقد اهتدوا ، وقال تعالى : ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا** ﴾ .

فالمؤمنون حينئذٍ هم أصحاب النبي ﷺ و رضي الله عنهم ، قال ابن مسعود – رضي الله عنه – كما ثبت ذلك عنه في تاريخ ابن عساكر بإسناد صحيح : (**الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك**) فإذا وافقت الحق ووافقت ما عليه السلف الصالح ، فأنت جماعة وإن كنت وحدك ، فلا عبرة بالسواد الأكثر في العصور المتأخرة ، إنما العبرة بالسواد الأعظم في عصر النبي عليه الصلاة والسلام ، وفي القرون المفضلة .

قال شيخ الإسلام – رحمه الله تعالى : [ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل]

هذه مصطلحات أربع :

١. المصطلح الأول التحريف .
٢. والمصطلح الثاني التعطيل .
٣. والمصطلح الثالث التكييف .
٤. والمصطلح الرابع التمثيل .

التحريف في اللغة : الإمالة والتغيير .

وأما في الاصطلاح : فهو تفسير النصوص بالمعاني الباطلة التي لا يدل عليها اللفظ بوجه من الوجـــوه .
يفسر النص من كتاب الله أو سنة نبيه عليه الصلاة والسلام بالمعاني الباطلة التي لا يدل عليها النص بوجه من الوجوه.

مثال ذلك : تفسير الاستواء الذي هو بمعنى العلو والارتفاع بالاستيلاء ، فبقول : الاستواء هو الاستيلاء ، هذا يسمى تحريفاً .

فإذاً : تفسير النصوص بالمعاني الباطلة ، هذا هو التحريف .

إذا قال : الوجه بمعنى الثواب ، أو قال : الوجه بمعنى الذات ، أو قال : اليد بمعنى النعمة ، أو بمعنى القدرة ، هذا كله تحريف .

وهم يسمونه تأويلاً كما يسمونه بالتأويل ، لأن لا تنفر منه النفوس من باب التضليل .

في زخرف القول تزيين لباطله   والحق قد يعتريه سوء تعبير

فليتنبه لهذا فإنّ أهل الباطل يزينون الباطل بالألفاظ البراقة ليروّج الباطل .

إذاً : هو التحريف ليس بتأويل .

هذا تحريف .

إذاً : تفسير النصوص بالمعاني الباطلة هذا هو التحريف .

الاصطلاح الثاني : هو التعطيل :

التعطيل في اللغة : هو كون الشيء خاليا .

إذا قيل هذا شيء معطل ، بمعنى أنه خال ، قال تعالى : ﴿ **وبئر معطلة** ﴾ أي ليس هناك من يرد إليهـــا .
فهي بئر فيها ماء ، لكن لما أهلك الله عز وجل أولئك القوم ، ليس هناك من يرد إليها فبقيت معطلة .

وأما في الاصطلاح : فهو نفي ما دلت عليه النصوص من المعاني الحقة غير الباطلة .

هذا هو التعطيل .

فإذا قال : ليس لله يد ، أو قال : ليس لله وجه ، أو قال : الله عز وجل ليس له العلو ، هذا يسمى بالتعطيل.

إذاً : هو نفى ، فالتعطيل هو النفي .

إذاً : نفى ما دلت عليه النصوص من المعاني الصحيحة ، هذا هو التعطيل .

هل بينهما تلازم ؟

الجواب : قد يكون بينهما تلازم ، فإذا كان محرفاً فيلزم من ذلك أن يكون معطلاً .

إذاً : كل محرف معطل ، لأنه إذا فسر الاستواء بالاستيلاء فيلزم من ذلك نفي العلو والارتفاع .

إذاً : كل محرف معطل ، لكن ليس كل معطل محرفا .

قد يقول هذا الرجل بنفي صفة الوجه ، لكن لا يفسر الوجه في النصوص الشرعية بمعنى ، أي لا يقول : إنّ الوجه في النصوص الشرعية بمعنى كذا ، لكنه ينفي فقط .

هذا يسمى معطلا ، وليس بمحرف .

وعلى ذلك فالمفوضة أي مفوضة المعاني هؤلاء معطلة ، وليسوا بمحرفة .

المفوضة هم الذين يفوضون المعاني بمعنى يقولن : إنّ هذه الصفات ليس لها معنى ، وعلى ذلك فينفون الوجه واليد وغير ذلك من الصفات ، لكنهم لا يحرفون النصوص ، بمعنى لو قلت لهم فسروا لي قوله تعالى : ﴿ **الرحمن على العرش استوى** ﴾ قالوا : لا نفسر .

إذاً : هؤلاء معطلة ، وليسوا بمحرفة .

إذاً : كل محرف معطل ، وليس كل معطل محرفاً .

الاصطلاح الثالث : التكييف .

التكييف : هو ذكر كيفية الصفة من غير أن يقيدها بمماثل .

وأما التمثيل : فهو ذكر الصفة مع التفسير بمماثل .

أوضّح ذلك بمثال :

إذا قلت لرجل : صف لي شجرة الزيتون ، فقال : شجرة الزيتون ساقها وصفه كذا ، وأغصانها كذا ، وأوراقها كذا، هذا يسمى تكييفا .

ولو قال : شجرة الزيتون كالشجرة الفلانية ، هذا ماذا يسمى ؟ – بالتمثيل .

قلت له : صف لي زيد ؟

قال : زيد طوله كذا ، وعرضه كذا ، ولونه كذا إلى غير ذلك ، هذا يسمى تكييفا .

فإذا قال : زيد كعمر ، هذا يسمى تمثيلا .

فإذا اعتقد أنّ لله عز وجل كيفية لصفاته معينة في عقله يعتقدها ويؤمن بها ولا يقيدها بمماثل ، هذا يسمى تكييفا .

وأما إذا قال : يد الله كأيدينا والعياذ بالله ، أو قال: بصره كبصرنا إلى غير ذلك ، فهذا يسمى بالتمثيل.

إذاً : على ذلك كل ممثل مكيف ، لكن ليس كل مكيف ممثلا .

كل من مثل فقد كيّف لأنّه ذكر لله الصفة ، لكن ليس كل مكيف ممثلا ، لأنّ من المكيفين من لا يذكر لك مماثلا .

إذاً : هذا هو بيان الاصطلاحات الأربع .

هنا الشيخ يقول : إنّ أهل السنة والجماعة يؤمنون بما وصف الله به نفسه في كتابه ، وبما وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل .

إذاً : على هذا الإيمان بالأسماء والصفات ينبني علىا ثلاث أسس :

١. الإيمان بم وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام على جهة الحقيقة ، لا على جهة المجاز ، تؤمن بما وصف الله به نفسه على ظاهره ، وبما وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام على جهة الحقيقة ، لا على جهة المجاز .

٢. الأساس الثاني : أن تؤمن أنّ الله لا يشبهه في صفاته أحد من خلقه سبحانه وتعالى ﴿ **وليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾

إذاً : نفي المماثل هذا هو الأساس الثاني .

٣. الأساس الثالث : قطع الطمع عن إدراك الكيفية .

أي أن تقطع طمعك عن إدراك كيفية صفات الله – سبحانه وتعالى – ، إذا كان الله عز وجل قد وصف لنا الجنة ، وأخبرنا بأنّ فيها قصورا ، وأنّ فيها حورا ، وأنّ فيها فاكهة ، وأنّ فيها خمرا ، وأنّ فيها أنهارا إلى غير ذلك ، وليس بين هذه الأسماء وبين ما نعرفه في الدنيا إلاّ مجرد الاتفاق في التسمية ، كما قال ابن عباس – رضي الله عنه – : (**ليس بين ما في الجنة وبين ما في الدنيا إلاّ الأسماء**) لكن الحقائق بينهما من المباينة ما لا تدركه عقولنا .

ولذا قال الله عز وجل في الحديث القدسي وهو ثابت في الصحيح : " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر " .

الفاكهة تعرفها ، ومع ذلك فإنّ فاكهة الجنة لا تخطر على قلوبنا ، أي مهما تفكرنا ، ومهما تأملنا ، ومهما وقع في قلوبنا من كيفية ما في الجنة من النعيم ، فإنّ نعيم الجنة أعظم وأكمل وأتم ، فإذا كانت هذه المباينة بين المخلوق والمخلوق ، فكيف بالمباينة بين المخلوق والخالق - سبحانه وتعالى.

إذاً : الأساس الثالث قطع الطمع عن إدراك الكيفية .

إذاً : الإيمان بما وصف الله به نفسه ، أو وصفه به رسوله عليه الصلاة والسلام على جهة الحقيقة، لا على جهة المجاز .

الأساس الثاني : اعتقاد أنّ الله عز وجل لا يماثله شيء لا في أسمائه ، ولا في صفاته – سبحانه وتعالى ﴿ **ليس كمثله شيء وهو السميع البصير** ﴾ .

الأساس الثالث : قطع الطمع عن إدراك الكيفية .

قال : [بل يؤمنون بأنّ الله – سبحانه : ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه ، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ، ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ، ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه]

" عن مواضعه " : أي عما يراد به ، أي لا يحرفونه عن مراد الله ومراد رسوله ﷺ .

" ولا يلحدون " : الإلحاد هو : الميل ، ومنه اللحد وهو الشق الذي يكون في جانب القبر ، سمي لحدا لميله عن وسط القبر ، فليس في وسط القبر ، وإنما يمون في جهته ، فسمي لحدا لميله .

فعلى ذلك الإلحاد : هو الميل ، هذا في اللغة .

وأما في الاصطلاح : فهو الميل عما يجب اعتقاده إلى ما لا يجوز ، أي تميل عما يجب عليك أن تعتقد إلى ما لا يجوز .

هذا هو الإلحاد في الشرع .

قال : [لأنه – سبحانه – لا سميّ له ، ولا كفء له ، ولا ندّ له ، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى]

" لا سميّ له " : يعني أنّه لا يشاركه – سبحانه وتعالى – فيما تشتمل عليه أسمائه من المعاني غيره ، فأسماء الله تشتمل على معان عظيمة ، لا يشاركه فيها غيره – سبحانه وتعالى .

" ولا كفء له " : الكفء أي المماثل .

" ولا ند له " : الند أي النظير .

فالله لا مكافئ له ولا نظير .

" ولا يقاس بخلقه " : أي لا يقاس بخلقه ، وذلك لأنّ القياس هو إلحاق النظير بنظيره ، كما هو مقرر في علم أصول الفقه ، هذا هو القياس .

والله عز وجل لا يماثله شيء من خلقه ، وعلى ذلك فلا يقاس الله بخلقه – سبحانه وتعالى - ، ولذا قال : ﴿ ولا تضربوا لله الأمثال ﴾ أي الأقيسة .

قال : [فإنّه أعلم بنفسه وبغيره ، وأصدق قيلا ، وأحسن حديثا من خلقه ، ثمّ رسله صادقون مصدقون ، بخلاف الذين يقولون عليه ما لا يعلمون]

" مصدقون " : في نسخة أخرى مصدوقون ، وكلاهما صحيح ، فهم مصدقون وهم مصدوقون .

فهم مصدقون : فأتباعهم يصدقونهم .

وهم مصدوقون : أي لا يأتون بأخبار كاذبة ، بل الله عز وجل قد أخبرهم بالأخبار الصادقة ، فهم مصدقون ، وهم مصدوقون ، كلاهما صحيح .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [ولهذا قال : ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ﴾ فسبّح نفسه عما وصفه به المخالفون للرسل ، وسلم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب]

قال المؤلف رحمه الله : [وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم]

قوله : وهو قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات :

فهذا الباب قد جمع الله فيه بين النفي والإثبات .

إذن عندنا أصلان :

الأصل الأول : النفي . **والأصل الثاني** : الإثبات .

النفي غير مقصود لذاته بل هو مقصود لغيره فإن النفي يقصد منه الإثبات أي إثبات كمال الضد . فالنفي مقصود لغيره إذ يقصد منه إثبات كمال الضد لله سبحانه وتعالى : أمثلة على هذا :

قوله تعالى: **﴿ لا تدركه الأبصار ﴾** هذا نفي ؛ هذا النفي لإثبات كمال عظمته سبحانه وتعالى

قوله تعالى: ﴿ **ما ربك بظلام للعبيد** ﴾ هذا نفي مقصود لغيره وهو إثبات كمال الضد : أي إثبات كمال عدله سبحانه وتعالى .

قوله : ﴿ **لا تأخذه سنة ولا نوم** ﴾ إثبات كمال حياته جل وعلا .

عندما تثني على أحد من الناس فتقول : إنه ليس ببخيل هل تريد نفي البخل فقط . أي نفياً مجرداً أم تريد أن تثبت كرمه ؟

الثاني هو المقصود لأن النفي المحض ليس بمدح ، فإذا قلت هو ليس ببخيل فيقال : وهل هو كريم أم ليس بكريم ؟

إذن النفي المحض المجرد هذا ليس بمدح . إنما يكون النفي مدحاً إذا قصد منه إثبات كمال الضد . وينفي عن الله سبحانه وتعالى ما ينافي كماله من النقائص والعيوب .

وأما الإثبات فهو كثير : ﴿ **بل يداه مبسوطتان** ﴾ في الآية إثبات اليد .

﴿ **ويبقى وجه ربك** ﴾ في الآية إثبات الوجه وهكذا .

ولذا فإن القاعدة القرآنية في هذا الباب الإثبات المفصّل والنفي المجمل لأن النفي كما تقدم كله ليس بمدح إلا إذا قصد منه إثبات كمال الضد .

عندما يأتي رجل إلى سلطان فيقول : أنت أيها السلطان لست ببخيل ولست بجبان ولست كساح – أي الذي يكنس – ولست بغدار إلى آخر ذلك هل يعد السلطان هذا مدحاً أم ذماً ؟ يعد هذا سوء أدب .

ما هي الطريقة التي تسلك في المدح ؟

هي طريقة الإثبات المفصل يقول : إنك كريم إنك شجاع إلى غير ذلك .

إذن الطريقة القرآنية إثبات مفصل ونفي مجمل .

النفي كما تقدم يراد منه إثبات كمال الضد .

عندما يقال هذه القبيلة لا تظلم ويقصد إنها قبيلة ضعيفة هذا ذم كما ورد في أشعار العرب ، لكن إن قيل أنه لا يظلم مع قوته فهذا لكمال عدله .

إذن الطريقة في النفي أن النفي لا يقصد لذاته وإنما يقصد النفي لإثبات كمال الضد لله سبحانه وتعالى .

قوله : فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون فإنه الصراط المستقيم : أي الذي لا اعوجاج فيه ، فبه تصح عقائدهم وبه تكمل أخلاقهم فهو الصراط المستقيم .

قال : [**صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وقد دخل في هـــذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن قال تعالى : ﴿ قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾**] .

التي تعدل ثلث القرآن كما ثبت في الصحيحين فقد ثبت في الصحيحين أنها تعدل – أي سورة الإخـــلاص ثلث القرآن.

وذلك أن القرآن علومه ثلاثة :

العلم الأول : علم التوحيد . وهذا هو النوع الذي تضمنته سورة الإخلاص فكانت تعدل ثلث القرآن أي في الفضل .

العلم الثاني : علم الأحكام والشرائع .

العلم الثالث : علم جزاء الأعمال وذكر الجنة والنار وما يتبع ذلك من قصص الأنبياء وقصص المخالفين .

إذن القرآن ثلاثة علوم فكانت هذه السورة تعدل ثلث القرآن أي في الفضل لا في الإجزاء .

لو أن رجل قال : والله لأقرأن القرآن كله فهل يجزئه أن يقرأ سورة الإخلاص ثلاثاً ؟ لا يجزئه ذلك .

ونظير هذا ما ثبت في الصحيحين : (**من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربع أنفس من بني إسماعيل**) لكن لو إنه كفر عن يمينه أو كفارة القتل بقول : لا إلى إلا الله وحده لا شريك له ... ، فإن هـــذا لا يجزئـــه أي في الفضـــل لا في الإجزاء .

قوله تعالى : أحد : ترد في النفي وفي الإثبات .

في الإثبات لا تكون إلا لله سبحانه وتعالى ، أي في الإثبات بلا إضافة .

فلا تقول : هذا أحدُ إلا لله سبحانه وتعالى هنا إثبات بلا إضافة ، لكن لو أضفت فقلت : هذا أحدهم هذا يصح .

إذن في الإثبات بلا إضافة لا يوصف بالأحد إلا الله سبحانه وتعالى .

وأما في باب النفي فإنها لا تختص بالله : **﴿ فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾** ففي باب النفي لا تخـــتص بالله سبحانه وتعالى .

وهنا باب إثبات فلا يقال : هذا أحد إلا لله سبحانه وتعالى .

والمراد بقوله : قل هو الله أحد : أي متفرد في الربوبية متفرد في الألوهية متفرد في الأسماء والصفات فهو متفرد أحد واحد في ربوبيته وألوهيته وأسماءه وصفاته .

وأما قوله : الصمد : فهو المقصود بقضاء الحوائج ، لشرفه وسؤدده عز وجل .

فالصمد : الذي تصمد إليه – أي تقصده – الخلائق لقضاء حاجتها ، فهو المعبود والمقصود بقضاء الحوائج لسؤدده وشرفه سبحانه وتعالى .

قوله : لم يلد و لم يولد : فيه الرد على اليهود والنصارى .

فإن اليهود قالوا : إن عزير ابن الله ، والنصارى قالوا : المسيح ابن الله تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

أما إدعاء أن لله والداً فإن هذا لم تقله أمة من الأمم فيكون هذا – في الآية – لبيان أوليته سبحانه ولرد ما قد يقال أي قد يتجرأ أحد فيقول إن لله والداً تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فنفى عنه الوالد والولد لذلك .

و لم يكن له كفواً أحد : أي لا مكافئاً ولا مماثل سبحانه وتعالى .

قال : **[وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتابه حيث يقول عز وجل : ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم ﴾]**

أعظم آية في كتاب الله هي آية الكرسي كما ثبت هذا في مسلم لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم أبي بن كعب عن أعظم آية في كتاب الله : (**أي آية في كتاب الله أعظم فقال : أبي الله ورسوله أعلم ، فسأله ثانية وثالثة فقال أبي آية الكرسي : فقال عليه الصلاة والسلام : ليهنك العلم أبا المنذر**) .

فآية الكرسي هي أعظم آية في كتاب الله لما اشتملت عليه من معاني الربوبية والألوهية والأسماء والصفات .

قوله : **الله لا إله إلا هو** : أي لا معبود حق إلا هو سبحانه وتعالى .

إذن المحذوف تقديره : لا معبود حق . لا إله : أي لا إله حق .

فتقدير المحذوف : حق ، ولا النافية للجنس خبرها تقديره حق ، لا إله حق إلا الله سبحانه وتعالى

الحي : ذو الحياة الكاملة التي لم تسبق بعدم ولا يلحقها فناء ، فحياته سبحانه تامة من كل الوجوه ، لا يلحقها فناء كما أنها لم تسبق بعدم .

القيوم : بمعنى القائم بنفسه المقيم لغيره فهو غني عما سواه لأنه قائم بنفسه ، وكل شيء إليه فقير : **﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ﴾** فغيره إليه فقير وهو غني عما سواه.

وهذان الإسمان بالاقتران : الحي القيوم : ترجع إليها الأسماء الحسنى كلها ، فالحي بالدلالة على صفات الذات ، والقيوم بدلالة على صفات الفعل .

ومن ثم كان هذان الإسمان مقترنين هما الإسم الأعظم الذي إذا سئل به الله أعطى وإذا دعي به أجاب كما ثبت هذا في مسند أحمد وسنن النسائي وغيرهما .

كما أن اسم الله الأعظم لفظ الجلالة (الله) فعلى الانفراد (الله) لفظ الجلالة هو اسم الله الأعظم إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب .

ومع الاقتران (الحي القيوم)

فإذا قلت : (يا الله) أو قلت (يا حي يا قيوم) فقد سئلت باسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب .

فاسم الجلالة (الله) ترجع إليه كل الأسماء الحسنى .

واسما الجلالة (الحي القيوم) ترجع إليهما كل الأسماء الحسنى .

فإذا قلت : يا الله ، أو قلت يا حي يا قيوم ، فقد سئلت الله بالاسم الأعظم الذي إذا سئل به أعطى وإذا دعي به أجاب.

قوله : **لا تأخذه سنة** : أي النعاس .

قوله : **ولا نوم** : وهذا لكمال حياته وقيوميته فلكمال حياته لا تأخذه سنة ولا نوم وكذلك لكمال قيوميته ، فهو قائم بغيره فلو أخذته – تعالى الله عن ذلك – سنة أو نوم فإن في ذلك نقص في القيومية ، ولذا فإنه سبحانه لا تأخذه - لكمال حياته وكمال قيوميته – سنة ولا نوم .

قوله : **من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه** : لا أحد يشفع عند الله عز وجل إلا بإذنه وهذا لكمال سلطانه.

تقدم لكم أن النفي يقصد منه إثبات كمال الضد فهنا لا تأخذه سنة ولا نوم لكمال حياته وقيوميته .

من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه : هذا لكمال سلطانه سبحانه وتعالى ، فلكمال سلطانه ليس أحد يشفع عند الله لا ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا بإذن الله سبحانه وتعالى فلابد من إذن الله ورضاه عن المشفوع له.

قوله : **يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم** .

ما بين أيديهم : أي المستقبل .

وما خلفهم : أي الماضي .

فقد أحاط علمه بالماضي والمستقبل سبحانه وتعالى فهو بكل شيء عليم .

ولا يحيطون بشيء من علمه : لا الشرعي ولا الكوني إلا بما شاء فالعباد لا يحيطون بشيء من علمه سبحانه وتعالى لا بالعلم الشرعي ولا بالعلم الكوني كالمكتشفات الحديثة أو القديمة إلا بإذن الله سبحانه وتعالى ومشيئته .

فهذه الاكتشافات الحديثة إنما اكتشفها مكتشفوها بعد مشيئة الله سبحانه وتعالى .

كذلك العلوم الشرعية لو لم يشاء الله عز وجل لم نعلم شيئاً لا عن أسماءه ولا عن صفاته ولا عن شرعه ودينه سبحانه وتعالى .

قال : **ولا يؤده حفظهما** : أي لا يثقله فلا يؤده حفظ السماوات والأرض فهو الحفيظ لا يؤده حفظهما ولا حفظ من فيهما فهو الحفيظ سبحانه وتعالى .

وهو العلي العظيم : العلي ، له سبحانه وتعالى علو الذات فهو فوق كل شيء ، وله سبحانه وتعالى علو القدر فصفاته أكمل الصفات وأتمها ، وله سبحانه علو القهر فهو القاهر فوق عباده .

الحق له علو الذات وله علو القدر وله علو القهر .

علو الذات : أن ذاته فوق كل شيء .

وأما علو القدر : فصفاته سبحانه وتعالى أكمل الصفات : ﴿ **وله المثل الأعلى** ﴾ أي الوصف الأعلى.

وله علو القهر : فهو القاهر فوق عباده .

العظيم : الذي له العظمة والكبرياء ، كما إنه معظم في قلوب أولياءه فهو عظيم له العظمة والكبرياء وهو عظيم معظم في قلوب أولياءه .

وهذا كما ورد في البخاري معلقاً وفي النسائي موصولاً في عمل اليوم والليلة : (**هذه الآية من قرأها في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ ولا يقربه شيطان حتى يصبح**) .

قال : [وقوله : هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم) قد ثبت تفسير هذه الآية في صحيح مسلم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أخذ مضجعه من الليل اضطجع على شقه الأيمن ثم قال عليه الصلاة والسلام : (اللهم رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم وربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيء أنت آخذ بناصيته اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء أقضي عنا الدين وأغننا من الفقر]

فقوله هنا : اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء هذا هو تفسير الأول : أي أنه ليس قبله شيء سبحانه .

الآخر : الذي ليس بعده شيء .

ففي هذين الاسمين الإحاطة الزمنية فهو الأول الذي ليس قبله شيء وهو الآخر الذي ليس بعده شيء إحاطة زمانية.

الظاهر الباطن : هذان الاسمان فيهما الإحاطة المكانية .

الظاهر : الذي ليس فوقه شيء فهو فوق كل شيء سبحانه وتعالى .

الباطن : الذي ليس دونه شيء فهو أقرب إلينا من حبل الوريد أي بقدرته وعلمه سبحانه وتعالى .

فهو إذن عليٌ في قربه ، قريب في علوه ، فهو قريب مع إنه فوق كل شيء قد أحاط سمعه بأقوالنا وبصره بأفعالنا وهو علينا قدير سبحانه وتعالى وبنا عليم .

إذن الباطن الذي ليس دونه شيء فهو أقرب إلى عباده من كل شيء مع علوه سبحانه وتعالى كما سيأتي بيان هذا إن شاء الله .

قال : [وقوله : ﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾ وقوله : ﴿ وهو العليم الحكيم ﴾].

الحكيم : من الحكمة وهي وضع الشيء في موضعه اللائق به فلا عبث ولا باطل فهو سبحانه حكيم في قدره أي في خلقه حكيم في شرعه سبحانه وتعالى ، قد وضع الأمور في مواضعها اللائقة بها فلا عبث ولا باطل .

قال : [وقوله : ﴿ وهو العليم الخبير ﴾] .

الخبير : من الخبرة وهي الإحاطة بباطن الأمر وغوره وكنهه فالله سبحانه وتعالى خبير كما إنه يطلع على ظواهر الأمور فإنه يطلع على بواطنها .

عندما تقول فلان خبير بمعنى أن عنده إدراك لغور الشيء وكنهه وحقيقته فله إطلاع على باطن هذا الفن الذي يشتغل به ، تقول : هذا خبير هكذا خبير بالطرق أي له إحاطة بدقائقها فالله سبحانه وتعالى خبير مطلع على باطن الأمر كما هو مطلع على ظاهره اطلع على غوره وعلى كنهه وعلى حقيقة أمره سبحانه وتعالى .

قال : [وقوله : ﴿ يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يخرج منها ﴾]

ما يلج في الأرض : أي ما يدخل في الأرض كالبذر مثلاً كالأموات .

وما يخرج منها : من نبات ومن ماء يخرج من العيون وغير ذلك .

وما يترل من السماء : من قطر أو ملائكة .

وما يعرج فيها : من ملائكة ومن قول طيب وعمل صالح فقد أحاط علمه سبحانه وتعالى بكل شيء فهو بكل شيء عليم .

قال : [وقوله :﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾]

مفاتح الغيب : جمع مفتح إليه مفتاح ، وقد ثبت في البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(**مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ أن الله عنده علم الساعة ويترل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت ﴾**) وهذه الخمس المذكورة في هذه الآية الكريمة : هي مفاتح الغيب التي لا يعلمهن إلا الله سبحانه وتعالى .

من جهة الأرحام كون الأطباء يطلعون على ذكورية أو أنوثية ما في الرحم هذا العلم إنما يدركه الأطباء بعد مضي أربعة أشهر وحينئذ لا يكون هذا مختصاً بالله سبحانه وتعالى لأن الملك الذي يقذف الروح قد أطلع هل هو ذكر أم أنثى لكن قبل ذلك لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى .

ثم إن علم الأطباء علم ضيق بما في الأرحام وليس بعلم واسع هل يحيا هذا الجنين أم يموت هل هو شقي أم سعيد هل يكون غنياً أم فقيراً كل ذلك لا يعلمه هؤلاء الأطباء وإنما يعلمون في بعض المراحل وتكون بعد قذف الروح هل هو ذكر أم أنثى وهذا بعد إطلاع الملك لأن الملك عندما تمضي هذه المراحل فيتم للجنين أربعة أشهر يأتي إليه الملك ويكتب عليه أذكر هو أم أنثى أشقي هو أم سعيد فإطلاعهم بعد ذلك هذا بعد خروج هذا العلم عن اختصاصه بالله سبحانه وتعالى لأن الملك قد أطلع على ذلك .

قال : [وقوله : ﴿ وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه ﴾ وقوله :﴿ لتعلموا أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ﴾] .

فالله عز وجل بكل شيء قدير ، فلا يلحق قدرته عجز كما أن قوته لا يلحقها ضعف جل وعلا .

قال : [وقوله :﴿ أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾] .

الرزاق : أي كثير الرزق واسعه لا يزال يرزق عباده رزقاً بعد رزق فهو كثير الرزق واسعه سبحانه وتعالى.

ويدخل في الرزق الحلال والحرام كلاهما رزق **﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾** فالرزق حلاله وحرامه من الله سبحانه وتعالى لكن الرزق الحرام يلحق العبد فيه تبعة .

وأما الرزق الحلال فلا يلحقه فيه تبعة وذلك أن الرزق على نوعين :-

النوع الأول : رزق عام ، والنوع الثاني : رزق خاص .

أما الرزق العام فهو إيصاله سبحانه وتعالى إلى كل مخلوق قوته **﴿ وما من دابة إلا على رزقها ﴾** هذا رزق عام هذا منه ما هو حلال ومنه ما هو حرام .

الحرام يلحق العبد فيه التبعة واللوم ، وأما الحلال فلا يلحق فيه تبعة ولا لوم هذا هو الرزق العام وأما الرزق الخاص فهو على نوعين :

النوع الأول : الرزق الحلال بأن يكفيك الله سبحانه وتعالى بحلاله عن حرامه ، هذا رزق خاص .

والنوع الثاني : الرزق المعنوي : وهو أن يهبك الله عز وجل علماً نافعاً وعملاً صالحاً يصلح به قلبك وبدنك فهذا النوع الثاني من الرزق الخاص .

إذن : عندنا رزق عام وعندنا رزق خاص .

فالرزق العام إيصال الله عز وجل المعايش والأقوات لخلقه سبحانه : **﴿ وما من دابة إلا على الله رزقها ﴾** كل دابة.

أما النوع الثاني فهو الرزق الخاص وهو على نوعين رزق حلال بأن يكفيك الله بحلاله عن حرامه وبفضله عما سواه .

والثاني الرزق المعنوي الذي فيه صلاح القلوب والذي فيه صلاح الآخرة من العلم النافع والعمل الصالح ، هذا أيضاً رزق وهو رزق خاص ، والذي قبله وسيلة إليه ، الرزق الخاص النوع الأول الذي هو الرزق الحلال هذا وسيلة إلى النوع الثاني .

قوله : ذو القوة : فهو سبحانه وتعالى قوي لا يلحقه ضعف عز وجل .

قوله : متين : المتين من المتانة أي الشدة فهو ذو القوة .

المتين : أي ذو القوة الشديدة فهو شديد في قوته سبحانه وتعالى .

قال : [وقول الله عز وجل ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وقوله : ﴿ إن الله نعمَّا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً ﴾].

قال تعالى : **﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾** هذه الآية فيها إثبات الصفات على جهة الإجمال كقولك فلان لا مثل له . أي له صفات لا يماثله فيها أحد ، فلان لا مثل له يعني له من الصفات الكثير بحيث أنه لا يماثله فيها أحد والكاف في قوله تعالى : **﴿ ليس كمثله شيء ﴾** زائدة للتأكيد أي ليس

مثله شيء ويصح أن تكون مثل زائدة ويكون المعنى ليس كهو شيء ويصح أيضاً أن تكون مثل بمعنى الصفة كقوله تعالى : **﴿ مثل الجنة ﴾** أي صفة الجنة . **﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون ﴾** أي صفة الجنة التي وعد المتقون فيكون قوله ليس كمثله أي ليس كصفته شيء . إذن عندنا ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن تكون الكاف زائدة .

الوجه الثاني : أن تكون مثل زائدة " بمعنى ليس كهو شيء " .

الوجه الثالث : أن تكون مثل بمعنى الصفة ويكون المعنى " ليس كصفته شيء " .

وقد تقدم لكم أن من الأسس الثلاث التي يقوم عليها هذا الباب وينبني عليها اعتقاد المكلف أن الله عز وجل لا يشبه شيء من صفاته شيئاً من صفات خلقه سبحانه وتعالى فليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

والسميع أي ذو السمع الذي يسمع به كل شيء والبصير أي ذو البصر الذي يبصر به كل شيء سبحانه وتعالى يعني كل مرئي وكل مسموع فهو ذو سمع يسمع به كل مسموع ، وذو بصر يبصر به كل مبصر وقد ورد في سنن أبي داوود أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ قوله تعالى : (**﴿ إن الله كان سميعاً بصيراً ﴾ أشار بإبهامه إلى أذنه وبالتي تليها إلى عينه**) وهذا دليل الإثبات ونفي التفصيل والحديث إسناده صحيح وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى هو على شرط مسلم .

قال : [وقول الله تعالى: ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾ وقوله : ﴿ ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ﴾ وقوله : ﴿ أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا ما يتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم ما يريد ﴾ وقوله : ﴿ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء ﴾]

هذه الآيات في الإرادة بنوعيها ، الإرادة نوعان : النوع الأول : إرادة كونية قدرية ، والنوع الثاني: إرادة شرعية دينية .

النوع الأول إرادة كونية قدرية ومعناها أن كل ما أراده الله عز وجل في قدره وخلقه فهو نافذ كائن **﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾** هذه هي الإرادة الكونية القدرية ، يعني كل ما أراد الله عز وجل وقوعه في هذا الكون فإنه كائن ولابد ، **﴿ إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾**

ومن هذه المقدرات ما هو محبوب إلى الله ومنها ما هو مبغض إليه ، إذن المرادات الكونية قد تكون محبوبة إلى الله وقد تكون مبغضة له .

وأما النوع الثاني وهي الإرادة الشرعية الدينية فكلها محبوبة إليه سبحانه وتعالى ليس فيها مبغض له، لكن قد تقع من المكلف وقد لا تقع .

إذن هذه هي الإرادة الشرعية القدرية مثال ذلك : أراد الله عز وجل من عباده شرعاً الإيمان ، والإيمان محبوب إليه لكن قد يقع من المكلف ذلك وقد لا يقع منه ولو أراده الله كوناً لوقع لكنها إرادة شرعية دينية ، الصلاة مثلاً هذه مراده شرعاً وديناً عندما يأمر الله المكلفين بالصلاة فقد يصلون أو قد يصلي بعضهم والبعض الآخر لا يصلي ، هذا مرادُ شرعاً إذن على ذلك أي الإرادتين التي ترادف المحبة ؟ الإرادة الشرعية ، الإرادة الشرعية إذن بمعنى المحبة وأما الإرادة الكونية فإنها ترادف المشيئة إذن الإرادة الكونية القدرية ترادف المشيئة والإرادة الشرعية الدينية ترادف المحبة ، إذن ما يراد كوناً لابد من وقوعه لكن قد يكون محبوباً وقد لا يكون محبوباً إلى الله سبحانه وتعالى. وأما ما يريده الله شرعاً فقد يقع وقد لا يقع لكنه محبوب إلى الله سبحانه وتعالى فإن قال قائل ما هي الحكمة من إيجاد مرادات لله عز وجل مبغضة إليه ، الله عز وجل يكره الكفر ، ويكره الفسوق ، ويكره العصيان ، يبغض سبحانه وتعالى أعدائه من الكفار ، فهذه المرادات الكونية المبغضة إلى الله، ما هي الحكمة من إيجادها ؟ نقول الجواب لله في ذلك حكم عظيمة فمن ذلك ظهور قدرة الله سبحانه وتعالى في إيجاد المتضادات هذه نفس طيبة وهذه نفس شريرة ، هذا مؤمن وهذا كافر هذا طيب وهذا خبيث ففي ذلك ظهور قدرته سبحانه وتعالى ، كيف خلق مثل جبريل ومثل إبليس ، كيف خلق مثل محمد وكيف خلق مثل أبي جهل ففي ذلك ظهور قدرة الله سبحانه وتعالى ، الثاني ظهور آثار أسماءه الدالة على المغفرة والرحمة والحلم فوجود المعاصي ووجود العصاة ووجود الكفرة هذا يترتب عليه أن هذه الأسماء تظهر آثارها فإذا تاب هذا العاصي ظهر اسم التواب وكون الله عز وجل يرزق وينعم عليه يظهر اسم الرحيم واسم الحليم كونه لا يعاقبه عاجلاً بل يمهله سبحانه وتعالى هذا أثر من آثار اسمه الحكيم سبحانه وتعالى ، إذن ظهور آثار أسماءه الدالة على حلمه ومغفرته ورحمته وتوبته سبحانه وتعالى ، من ذلك أيضاً ظهور آثار أسماءه الدالة على علمه وخبرته سبحانه وتعالى ، من ذلك أيضاً ظهور آثار أسماءه الدالة على قهره من ذلك أيضاً ظهور العبادات المتنوعة ، لولا وجود الكفار والفساق هل كان يوجد الجهاد في سبيل الله ، وهل كان يوجد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهل توجد الموالاة والمعاداة وهل توجد الدعوة إلى الله إلى غير ذلك من العبادات المتنوعة ، إذن لذلك حكم كثيرة ما ذكرته شيء منها .

قال : [وقوله : ﴿ وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾ وقوله : ﴿ وأقسطوا إن الله يحب المقسطين ﴾ وقوله : ﴿ فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين ﴾ وقوله : ﴿ إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾ وقوله : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ وقوله : ﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾ وقوله : ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾]

هذه الأدلة من الكتاب دالة على أن الله سبحانه وتعالى يحب فإذن يتصف سبحانه وتعالى بأنه يحب أولياءه وهذه الصفة تليق بالله سبحانه وتعالى ليست من جنس محبة المخلوقين فليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

وأما الأشاعرة قالوا إن المحبة هي إرادة الله عز وجل إكرام العبد وهذا تأويل باطل يخالف النصوص الواردة في الكتاب والسنة .

لما قالوا ذلك قالوا فراراً من التمثيل قالوا المحبة هي ميل الإنسان إلى ما يستلذ والله يتره عن ذلك ، نقول لهم هذه محبة المخلوق ، الميل إلى ما يستلذ هذه محبة المخلوق أما محبة الخالق فتليق به سبحانه وتعالى فليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، إذن المحبة ثابتة لله عز وجل على ما يليق به سبحانه وتعالى .

قال : [وقوله : ﴿ وهو الغفور الودود ﴾]

والودود فعول بمعنى فاعل من الودِّ وهو أخلص الحب وأصفاه فهو ودود فعول بمعنى فاعل أي يود أولياءه كما أن أولياءه يودونه سبحانه وتعالى فهو يود أولياءه وأولياءه يودونه إذن الود هو الحب لكنه أخلص الحب وأصفاه .

قال : [وقوله : ﴿ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ﴾ وقوله : ﴿ وكان بالمؤمنين رحيما ﴾ وقوله: ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ وقوله:﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾ وقوله : ﴿ وهو الغفور الرحيم ﴾ وقوله : ﴿ فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين ﴾]

هذه الأدلة أيضاً فيها إثبات لصفة الرحمة لله سبحانه وتعالى فهو رحيم ذو رحمة يرحم من يشاء والرحمة صفة تليق بالله سبحانه وتعالى ، ليست من جنس رحمة المخلوقين وأما المحرفة الأشاعرة فإنهم قالوا إن الرحمة هي إرادة الثواب ، الرحمة إرادة الثواب لما ؟ قالوا الرحمة خور وضعف يتره عنه الله عز وجل ويقال لهم لو صح ذلك فهي رحمة المخلوق على أن الرحمة إنما تكون من القوي للضعيف فأين الضعف والخور فيه ثم يقال لهم ما تقدم هذه رحمة المخلوق وأما رحمة الله سبحانه وتعالى فهي لائقة به عز وجل .

إذن المحرفة المعطلة الذين يحرفون الكلام عن مواضعه قالوا الرحمة هي إرادة الثواب وهذا باطل كما تقدم التنبيه عليه .

قال : [وقوله : ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ﴾ وقوله : ﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه ﴾ وقوله : ﴿ ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه ﴾ وقوله: ﴿فلما آسفونا انتقمنا منهم﴾ وقوله : ﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم﴾ وقوله :﴿ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تعلمون ﴾]

هذه الآيات فيها إثبات الصفات الفعلية ، وذلك أن الصفات على نوعين ، النوع الأول : صفات ذاتية، والنوع الثاني: صفات فعلية . فالصفات الذاتية هي التي لا تنفك عن الذات ، لا تنفك عن الذات كالوجه واليد والسمع والبصر هذه لا تنفك عن الذات .

وأما النوع الثاني : فهي الصفات الفعلية وهي التي تتبع المشيئة هذه تسمى بالصفات الفعلية الاختيارية يعني تتبع المشيئة كالغضب والرضا فالله عز وجل يغضب تبعاً لمشيئته ويبغض تبعاً لمشيئته إلى آخر ذلك من الصفات الاختيارية .

إذن الصفات الذاتية هي التي لا تنفك عن الذات وأما الصفات الاختيارية فهي التي تتبع المشيئة فالآية الأولى فيه إثبات الرضا وهو من الصفات الفعلية الاختيارية والثانية فيها إثبات الغضب وهو أيضاً من الصفات الفعلية الاختيارية والآية الثالثة فيها إثبات السخط وهو كذلك من الصفات الفعلية الاختيارية والسخط ضد الرضا .

وقوله : ﴿ **فلما آسفونا** ﴾ آسفونا أي أغضبونا وعلى ذلك فيها إثبات صفة الغضب ﴿ **ولكن كره الله انبعاثهم** ﴾ فيها إثبات صفة الكره ﴿ **كبر مقتاً** ﴾ المقت هو أشد البغض ففي الآية إثبات لصفة البغض لله سبحانه وتعالى .

قال : [وقوله : ﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر ﴾ وقوله :﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك﴾ وقوله : ﴿ كلا إذا دكت الأرض دكاً دكاً وجاء ربك والملك صفاً صفاً ﴾ وقوله : ﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً ﴾]

هذه الآيات فيها إثبات مجيء الله سبحانه وتعالى يوم القيامة للفصل بين العباد وهذا الإتيان والمجيء يليق بالله سبحانه وتعالى وهو من الصفات الفعلية الاختيارية ، قال تعالى : ﴿ **هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل**

من الغمام ﴾ والغمام يعني السحاب الأبيض في ظلل أي على ظلل ، في ظلل (في) هنا بمعنى على ، كقوله تعالى : **﴿ لأصلبنكم في جذوع النخل ﴾** أي على جذوعها ، **﴿ في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر ﴾** ، الشاهد قوله: **﴿ أن يأتيهم الله ﴾** هذا فيه إثبات إتيان الله عز وجل يوم القيامة للفصل بين العباد .

﴿ هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك ﴾ كذلك هذه الآية فيها إثبات إتيان الله سبحانه وتعالى يوم القيامة للفصل بين العباد .

﴿ كلا إذا دكت الأرض دكاً دكاً ﴾ يعني زلزلة بعد زلزلة حتى تنهد فتكون هباء منثوراً .

﴿ يوم تشقق السماء ﴾ أي تنفطر ، السماء بالغمام تقدم أن الغمام السحاب الأبيض **﴿ ونزل الملائكة تنزيلاً ﴾** وهذه الآية تفسرها الآية السابقة وهي قوله تعالى : **﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر ﴾** .

إذن هذه الآيات فيها إثبات إتيان الله سبحانه على الوجه اللائق به يوم القيامة وليس إتيانه سبحانه من جنس إتيان المخلوقين فليس كمثله شيء وهو السميع البصير .

قال : [وقول الله عز وجل ﴿ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾ وقوله : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾].

هاتان الآياتان فيهما إثبات صفة من الصفات الذاتية وهي صفة الوجه فلله عز وجل وجه يليق به سبحانه وتعالى لا يشبه أوجه أو وجوه المخلوقين **﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾** وفي صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**حجابه النور لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**) وفي البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**أعوذ بوجهك**) وفي النسائي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**أسألك لذة النظر إلى وجهك**) .

هذه كلها أدلة دالة على إثبات صفة الوجه لله سبحانه وتعالى أما المعطلة فقالوا أن الوجه بمعنى الذات أو الثواب . فيكونون قد صرفوا اللفظ عن ظاهره المتبادل منه إلى ما يسمى بالمجاز ، وهنا قاعدة في ما يصح تفسيره بخلاف ظاهرة القاعدة في تفسير النصوص ، إذا أردت أن تفسر نصاً فلابد من ثلاث شروط :

الشرط الأول : أن تحتمل اللغة هذا المعنى ، أن تحتمله اللغة ، لابد وأن يكون ثابتاً في لغة العرب وهل في لغة العرب أن الوجه يطلق على الذات ؟ الجواب : لا ، ليس في لغة العرب أن الوجه يطلق على الذات . هل في لغة العرب أن الاستواء يُطلق على الاستيلاء ؟ الجواب : لا ، ليس هذا في لغة العرب .

والقرآن قد نزل بلسان عربي مبين ، إذاً لابد وأن تحتمله لغة العرب ، هذا الشرط الأول .

الشرط الثاني : لابد وأن يحتمله السياق ، نعنى الجملة التي تجتمع فيها هذه الألفاظ وما يسبقها من كلام وما يلحقها يحتمل هذا المعنى ، لابد وأن يحتمله السياق .

مثال ذلك : ويأتي الكلام أيضاً على صفة اليد وأن ما ذكره المعطلة لا يحتمله السياق لكنى أذكر مثالاً خارجاً عن النصوص الشرعية :

إذا قال رجل : " **رأيت أسداً يأكل فريسته** "

الأسد في لغة العرب يطلق على الحيوان المفترس ويطلق أيضاً على الرجل الشجاع لو قال رجل المراد هنا بالأسد الذي يأكل فريسته الرجل الشجاع اللغة هل تحتمل ؟ كلغة ، تحتمل لكن السياق لا يحتمل ، السياق يمنع ، يعني يقال هنا يأكل فريسته ، إذاً السياق يمنع اللغة وإن احتملت .

الشرط الثالث : أن يكون في السياق قرينة دالة على إرادة هذا المعنى المحتمل ، لابد من قرينة ، لو جاء رجل وقال : " **أنا رأيت أسداً** " فقال أحد السامعين ، يريد بقوله أسداً يريد رأيت رجلاً شجاعاً ، الآن اللغة تحتمل والسياق أيضاً لا يمنع لكن هل في الكلام قرينة تدل على إرادة هذا المعنى ؟ ليس في كلامه قرينة تدل على إرادة هذا المعنى ، لكن لو قال : " رأيت أسداً يأكل فريسته " . الآن في السياق قرينة تدل على إرادة المعنى ، إذاً لابد من ثلاثة شروط :

الشرط الأول : أن تكون اللغة تحتمل هذا المعنى .

الشرط الثاني : أن يكون السياق يحتمل .

الشرط الثالث : أن يكون في الكلام قرينة .

إذا كان هذا في كلام الخلق فهو في كلام الخالق سبحانه وتعالى الذي هو في غاية الفصاحة والبيان أولى .
إذا كان هذا ثابتاً في كلام الناس الفصحاء فهو في كلام البارئ سبحانه وتعالى أولى .

هذه القاعدة السابقة نطبقها هنا في هذا الباب :

فعندنا مسألة الوجه وقالوا أن الوجه يراد به هنا الذات ﴿ **ويبقى وجه ربك** ﴾ أي يبقى ربك ، فإذاً نقول لهم ، نقول اللغة لا تحتمل والسياق لا يحتمل لأنه قال : ﴿ **ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام** ﴾ ذو : صفة للوجه ، لأن الوجه مرفوع والنعت يكون مرفوعاً لكن لو قال : ﴿ **ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام** ﴾ كان قوله ذي الجلال والإكرام : وصفاً لربك ، لكنه قال ذو الجلال والإكرام فهو وصف للوجه ، وأما ما ذكروه من الثواب فنقول هل يصح أن يستعاذ بالمخلوق أو ليس الثواب مخلوقاً ؟ الجواب :

بلى الثواب مخلوق ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: (**أعوذ بوجهك**) فدل هذا على بطلان ما ذكـــروه من هذا التأويل الذي هو تحريف ، أرأيتم لو أن رجلاً أتى إلى نص رئيس من الرؤساء ، هل الواجب عليه أن يحمله على ظاهره أو له أن يصرفه عن ظاهره ؟ الواجب أن يحمله على ظاهره ليس له أن يصرفه عـــن ظاهره إلا بدليل ، إذا كان عنده دليل يدل على الصرف فله ذلك . فإن فعل ألا يستحق العقوبة ألا يستحق اللوم ؟ الجواب : بلى ويُعدُّ متلاعباً إذا أتى إلى بعض النصوص التي تكون في بعض الأنظمة فأخذ يتأولهـــا ويصرفها عن ظواهرها ليس عنده قرائن وليس عنده أدلة ألا يعد متلاعباً مستحقاً للعقوبة مستحقاً للـــوم ، الجواب بلى فكيف بنصوص الوحيين بكلام الله سبحانه وتعالى وكلام نبيه عليه الصلاة والسلام .

قال : [وقوله تعالى ﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ وقوله تعالى : **﴿ وقالت اليهود يـــد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ﴾]**

هاتان الآيتان فيهما إثبات أن لله سبحانه وتعالى يدين يليقان به سبحانه وتعالى يبسطهما بالعطاء والإنفاق كيف يشاء سبحانه وتعالى ، وقال عليه الصلاة والسلام فيما ثبت في صحيح مسلم : (**يمـــين الله مـــلاء سحاء** (**أي تصب الخير صباً**) **الليل والنهار أريتم ما أنفق مذ خلق السموات والأرض فإنه لم يغض مما في يمينه**) وقال عليه الصلاة والسلام أيضاً فيما ثبت في مسلم : (**المقسطون على منابر من نور يوم القيامة عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين**) وقال أيضاً : **﴿ والسموات مطويات بيمينـــه﴾** هذه الأدلة دالة على ما ذهب إليه السلف من إثبات اليدين لله سبحانه وتعالى أما المعطلة فقالوا اليد بمعنى القدرة أو النعمة نطبـــق القاعدة المتقدمة في التأويل ، هل اللغة تحتمل ؟ الجواب : نعم اللغة تحتمل ، تقول أن لفلان علي يـــداً أي نعمة فاللغة تحتمل نأتي إلى السياق ، هل السياق يحتمل ؟ الجواب : لا يحتمل فهنا قوله تعالى : **﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾** هل القدرة تثنى إذا ثنيت حصرت والله يقول : **﴿ وإن تعدوا نعمـــة الله لا تحصوها ﴾** النعمة وكذلك القدرة لا تثنى ، الشيء إذا ثني فإنه يحصر ، كذلك أليس إبليس مخلوقاً بقدرة الله سبحانه وتعالى الجواب بلى ، إبليس مخلوق بقدرة الله ، وعلى ذلك فلا يتميز آدم على إبليس لو كان يراد باليد هنا القدرة لقال إبليس أنا أيضاً خلقتني بقدرتك ، فدل على أنه لا يراد باليد هنا القدرة وقـــد روى الذهبي في كتاب العلو بإسناد جيد عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال : (**خلق الله عز وجل أربعة أشياء بيده : العلم والعرش وآدم وجنـــــة عـــدن**) فهذه الأشياء الأربعة خلقت بيد الله سبحانه وتعالى قـــال وخلق الأشياء بقوله **﴿ كـــن ﴾** فهذه الأشياء الأربع قد خلقت بيد الله سبحانه وتعالى تكريماً لها وتشريفاً وأما سائر الخلق بقدرته سبحانه وتعالى هل القدرة أو النعمة توصف بأنها تعطى وأنها تمنع وأنها تكتب وأنها

تبسط وأنها تطوى هل توصف القدرة أو النعمة بذلك ؟ الجواب : لا توصف ، القدرة لا توصف بذلك ، هذه قرائن تدل على إرادة الظاهر، إذن السياق لا يحتمل أن المراد باليد القدرة أو النعمة ولا أيضاً القرائن بل القرائن تدل على إرادة ماذا ؟ على إرادة اليد الحقيقية ، تعطي تمنع تبسط تطوى إلى غير ذلك من الألفاظ التي تدل على إرادة الحقيقة .

إذن هاتان الآيتان وما تقدم من الأدلة تدل على مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات صفة اليد لله عز وجل وأنها من الصفات الذاتية وأن لله سبحانه وتعالى يدين يليقان بجلاله عز وجل لا تشبه أيدي المخلوقين.

قوله تعالى : ﴿ **والسماء بنيناها بأييدٍ وإنا لموسعون** ﴾ ما المراد بأييد هنا ؟ المراد بها القدرة ليس المراد بها اليد التي هي صفة ذات لله سبحانه وتعالى لأنه لم يقل بأيدي بإثبات الياء ،

قال بأيد على وزن فعل ، من آد يئيد ومن قوله تعالى : ﴿ **وأيدناه بروح القدس** ﴾ يعني قويناه وأما الأيدي إذا جمعت اليد تثبت الياء يقال أيدي بتثبيت الياء على وزن أفعل ما يقال أيدٍ ، أيد بالتنوين على وزن فعل بمعنى القوة ولذا فسرها السلف بالقوة لأنها على وزن فعلٍ ومنه ﴿ **وأيدناه بروح القدس** ﴾ أي قويناه .

قال: [وقوله تعالى ﴿ فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وحملناه على ذات ألواح ودسر تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ﴾ وقوله تعالى:
﴿ وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني ﴾] .

هذه الآيات فيها إثبات صفة العين لله سبحانه وتعالى فالله عز وجل عينان يليقان به سبحانه وتعالى لا يشبهان أعين المخلوقين يبصر بهما سبحانه وتعالى كل المرئيات فقوله : ﴿ **فاصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا** ﴾ هذه الآية فيها إثبات العين ﴿ **فإنك بأعيننا**﴾ ، ﴿ **وحملناه على ذات ألواح ودسر** ﴾ .

الألواح : أي الخشب لأنها تصنع من الأخشاب والمسامير ، ﴿ **وألقيت عليك محبة مني** ﴾ أي أن الله عز وجل أحب موسى عليه الصلاة والسلام وحببه إلى الناس فكان من رآه عليه الصلاة والسلام أحبه فقد أحبه الله وحببه إلى خلقه إذن هذه الآيات فيها إثبات صفة العين لله سبحانه وتعالى ، ولله عينان بإجماع السلف وممن نص على التثنية وأنها عينان الإمام الدارمي وإمام الأئمة ابن خزيمة وشيخ الإسلام ابن تيمه رحمهم الله جميعاً ويدل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم (**أن ربكم ليس بأعور**) فيما ثبت في الصحيحين ، فدل على أن لله عز وجل عينين فإن قيل فالجمع ما الجواب عنه في قوله تعالى ﴿ **بأعيننا** ﴾ ؟ فالجواب : أن هذا من باب المشاكله ، لأنه لو قيل بتثنية العين لثقل ذلك على اللسان ، كما لو أضيف إلى المثنى فالمثنى إذا أضيف إلى المثنى أو أضيف إلى الجمع فالأفصح الجمع ﴿ **أن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما** ﴾ انظروا

قلوب جمع وإنما هما قلبان ، قلوبكما لزوجتي النبي عليه الصلاة والسلام ، فقال هنا قلوبكما ، فقد صغت قلوبكما فجمع القلب هذا من باب المشاكله لأنه أخف على اللسان كذلك هنا ﴿ **بأعيننا** ﴾ فهذا من باب المشاكله .

قال : [وقوله تعالى : ﴿ قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير ﴾ وقوله : ﴿ لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء ﴾ وقوله : ﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لدين يكتبون ﴾] .

هذه الآيات فيها إثبات صفة السمع لله سبحانه وتعالى وقد جاءت صفة السمع بكل أنواع الاشتقاق ، سمع ، يسمع ، أسمع – سميع – فهذه الآيات فيها إثبات صفة السمع لله سبحانه وتعالى وقد جاءت بكل أنواع الاشتقاق فاالله سبحانه وتعالى له سمع يسمع به سبحانه وتعالى كل الأصوات باختلاف اللغات واللهجات سبحانه وتعالى ، الآية الأولى : ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله** ﴾ قالت عائشة رضي الله عنها كما في البخاري : (**سبحان من وسع سمعه الأصوات**) جاءت المرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم تشكو وأنا في ناحية البيت ما أسمع كلامها فأنزل الله عز وجل : ﴿ **قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير** ﴾ فقد وسع سمعه سبحانه وتعالى الأصوات كلها والآيات الأخرى فيها أيضاً الجلالة على صفة السمع .

قال : [وقوله تعالى : ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾ وقوله : ﴿ ألم يعلم بأن الله يرى ﴾ وقوله : ﴿ الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين إنه هو السميع العليم ﴾ وقوله : ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ﴾] .

هذه الآيات فيها إثبات صفة الرؤية وأن الله سبحانه وتعالى يرى ببصره كل المرئيات لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء .

قال : [وقول الله عز وجل ﴿ وهو شديد المحال ﴾ وقوله : ﴿ ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين ﴾ وقوله ﴿ ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون ﴾].

صفة المكر والكيد وكذا الاستهزاء والسخرية والخداع هذه الصفات صفات فعلية اختيارية لا تثبت لله سبحانه وتعالى إلا على جهة التقييد لا على جهة الإطلاق ، وذلك لأن هذه الصفات من جهة تكون ذماً ومن جهة تكون مدحاً فهي ثابتة لله سبحانه وتعالى صفة مدح على جهة التقييد فالله يمكر بمن يمكر بأوليائه

ويكيد بمن يكيد بأوليائه ويستهزئ بمن يستهزئ بهم ويخادع من يخادعه ويسخر ممن يسخر منه ومن رسله وأوليائه وشرعه ودينه قال تعالى عن المنافقين : **﴿ إنما نحن مستهزؤن ، الله يستهزئ بهم ﴾ وقال : ﴿ يخادعون الله وهو خادعهم ﴾** إذن هذه الصفات تثبت لله سبحانه وتعالى على جهة التقييد لا على جهة الإطلاق فالذي يستحق أن يُمكر به يمكر الله به، الذي يستحق أن يستهزئ به يستهزئ الله به سبحانه وتعالى ، ولذا فإنه لا يشتق لله سبحانه وتعالى منها اسماً فلا يقال الماكر ، ولا يقال الكائد ولا المستهزئ فلا يشتق لله سبحانه وتعالى منها اسماً ذلك لأنها إنما تثبت له سبحانه وتعالى على جهة التقييد لا على جهة الإطلاق ، وليس هذا كما يقول المعطلة المؤلة إنه من باب المشاكلة اللفظية لكن المعنى يختلف ليس الأمر كذلك بل هذه الصفات حقيقية لكنها كما تقدم على جهة التقييد لا على لا جهة الإطلاق : **﴿ وهو شديد المحال ﴾** أي المكر وهو إيصال المكروه بالخصم بالطرق الخفية من حيث لا يشعر هذا هو الكيد والمكر ، يعطيهم الله النعم ويكثر ذلك على أيديهم وإنما هو استدراج من الله سبحانه وتعالى ، فيأخذهم الله سبحانه وتعالى على حين غرة ولذا قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام أحمد وغيره وهو حديث حسن : (**إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصية فاعلم إنما هو استدراج**) .

إذن هذه الصفات الفعلية الاختيارية تثبت لله سبحانه وتعالى على الحقيقة لا كما يقول المعطلة إنما هي مشاكلة لفظية بل على الحقيقة لكن على جهة التقييد لا على جهة الإطلاق .

قال : [وقوله : ﴿ إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً ﴾ وقوله : ﴿ إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفو عن سوء فإن الله كان عفواً قديراً ﴾] .

العفو : المجاوزة عن الذنب فالمجاوزة عن الذنب هو العفو ، يعني لا تؤاخذ من أذنب عليك تقول قد عفوت أي لا أؤاخذ من أخطأ علي في هذه المسألة ، وإنما يكمل العفو حيث كان من عفا قديراً فالعفو مع القدرة به يكون كمال العفو ، ولذا قال الله عز وجل : **﴿ إن الله عفوٌ قدير ﴾** وكذا قال الله عز وجل : **﴿ فإن الله كان عفواً قديراً ﴾** فعفوه سبحانه وتعالى مع قدرته فهو قادر على أن ينفذ في هذا المذنب ما شاء من العقوبات العاجلة والآجلة قادرٌ على أن يؤاخذه لكنه عفا عنه سبحانه وتعالى .

قال : [وقوله : ﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴾]

الصفح : الإعراض عن الذنب وعدم ذكره وعلى ذلك فهو أبلغ من العفو ، رجل عفا عن قاتل وليه ، لم يؤاخذه بذنبه فلم يقتص لكنه يذكر ذلك ، فلم يعرض عن هذا القاتل فلا يزال في نفسه عليه شيء ولا يزال

يذكر أن فلان قد قتل أخاه أو قتل وليه هذا قد عفا و لم يصفح ، فالصفح أن يعرض عن الذنب يعني ينسى أن هذا قد أذنب هذا في المخلوق وأما الله سبحانه وتعالى فصفحه بأن لا يذكر له ذنبه إلا على جهة التقرير بالمنة والفضل فيه سبحانه وتعالى .

وهذه الآية نزلت في مسطح ابن أثاثة رضي الله عنه وكان ممن خاض في حادثة الإفك فهو كان ابن خالة أبي بكر الصديق وكان أبو بكر رضي الله تعالى عنه ينفق عليه فحلف أبو بكر رضي الله تعالى عنه أن لا ينفق على مسطح لأنه خاض في عرض ابنته الصديقة رضي الله عنها ثم قال عز وجل : **﴿ وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم ﴾** فقال رضي الله عنه أي الصديق بلى أحب أن يغفر الله لي فعفا عنه وصفح وعاد إلى النفقة رضي الله تعالى عنه والقصة ثابتة في الصحيحين .

قال : [وقوله : ﴿ ولله العزة ولرسوله ﴾ وقوله عن إبليس : ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين ﴾ وقوله : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾] .

العزة بمعنى القوة ، والغلبة ، والامتناع .

والقوة : من عَزّ يُعز بضم العين ، والغلبة من عَزّ يَعَز بفتحها والامتناع من عِزّ يعز بكسر العين .

فعزة الله بمعنى القوة ، فقوته لا يلحقها ضعف وبمعنى الغلبة فالله غالب على أمره سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء وبمعنى الامتناع أيضاً فالله عز وجل لا يناله سوء ، لا يمكن أن يلحق به أحد من أعدائه وأعداء رسله سوء سبحانه وتعالى .

إذن العزة بمعنى القوة والغلبة والامتناع ، وأما قوله تعالى : **﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين ﴾** أقسم إبليس بعزة الله سبحانه وتعالى والعزة صفة من صفات الله سبحانه وتعالى كما تقدم ومن ثم صح القسم بها ، يعني لا يقسم إلا بالله أو بصفة من صفاته كذلك لا يستعاذ إلا بالله أو بصفة من صفاته ففي صحيح مسلم في رقية المريض : (**أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**) فدل على أن العزة صفة من صفاته فالعزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، المؤمنون لهم العزة ولذا فإن المؤمنين أمرهم ظاهر إما بالحجة والبرهان في كل عصر وإما بالسيف والسيف دول قد يكون لهم النصر وقد يكون لغيرهم لكن العاقبة للمتقين وأما الحجة والعلم والبرهان يعني بالقرآن والسنة ، فإن حجتهم هي الحجة الظاهرة في كل عصر .

قال : [وقوله : ﴿ تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام ﴾] .

تبارك أي كثر خيره فالبركة كثرة الخير وثبوته ، تبارك اسم ربك ، اسم مفرد مضاف فيعم ، أي تباركت أسماؤه فكل أسمائه سبحانه وتعالى تحصل بها البركة ولذا قال عليه الصلاة والسلام كما في البخاري : (**إن**

لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة) هذا من بركة هذه الأسماء الحسنى ومن ذلك أن من دعا الله متوسلاً بها أجاب الله دعوته : **﴿ ولله الأسماء الحسنى فأدعوه بها ﴾** .

وقوله : ﴿ فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً ﴾ هذه الآية جمعت أنواع التوحيد الثلاثة .

قوله : ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما﴾ فيه توحيد الربوبية وقوله : **﴿ فاعبده واصطبر لعبادته ﴾** توحيد الألوهية أي توحيد العبادة **﴿ هل تعلم له سمياً ﴾** توحيد الأسماء والصفات ففي هذه الآية رد على أهل الشبه الخرافيين الذين يقولون إنكم تذكرون أن التوحيد على ثلاثة أنواع فأين هذه الأنواع الثلاثة ؟ هل قال النبي صلى الله عليه وسلم أنواع التوحيد ثلاثة هل قال الله أنواع التوحيد ثلاثة ؟ فنقول لهم : أولاً هذه الآية تدل ، ثانياً الاستقراء ، يعني استقراء النصوص يدل على أن التوحيد على ثلاثة أنواع ، نقول لهم أنتم الآن تقولون إن نواقض الوضوء ثمانية هل النبي صلى الله عليه وسلم قال نواقض الوضوء ثمانية أو عُلم ذلك بالاستقراء ؟ عُلم ذلك بالاستقراء يعني بتتبع النصوص ، كذلك أن شروط البيع سبعة ، هل قال النبي صلى الله عليه وسلم أو قال الله عز وجل أن شروط البيع سبعة أو أن ذلك عُلم بالتتبع والاستقراء ؟ الثاني : إذن نقول أولاً يُعلم بالتتبع والاستقراء وثانياً هذه الآية تدل على أن التوحيد على ثلاثة أنواع : **﴿ اصطبر لعبادته ﴾** قال : اصطبر هذا أبلغ من اصبر لأن زيادة المبني زيادة في المعنى ، اصطبر أبلغ من اصبر فهو صبر فيه معاناة وتعب أي اصطبر على عبادته وإن كان هناك مشقة وإن وجدت تعباً وإن وجدت أذى في عبادة الله عز وجل فاصبر ، **﴿ هل تعلم له سمياً ﴾** هذا استفهام إنكاري أي ليس له سمي ، السمي هو النظير الذي يستحق ما لله من الأسماء ، أي هل لله نظير يستحق ما له من الأسماء الحسنى ؟ الجواب لا ، استفهام إنكاري إذن الاستفهام هنا يراد به الإنكار أي ليس له سبحانه وتعالى سمي .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وقوله : ﴿ لم يكن له كفواً أحد ﴾] .

تقدم تفسيره .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وقوله : ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون ﴾] .

لا تجعلوا لله أنداداً أي أشباهاً ونظراء وأنتم تعلمون أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق الرازق المحي المميت ، فلا تجعلوا له أنداداً في العبادة ، وأنتم تعلمون أنه ربكم وخالقكم ورازقكم المتصرف بأموركم المدبر لكم سبحانه وتعالى لقوله عز وجل : **﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾** .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وقوله : ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾ وقوله : ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً ﴾] .

ولم يكن له ولي من الذل " من" هنا للتعليل أي ليس لله ولي يفتقر إليه ليرفع عنه ذلاً تعالى الله عز وجل عن ذلك ، لكن له أولياء يؤيدهم ويحبهم وينصرهم ﴿ **الله ولي الذين آمنوا** ﴾ لكن ليس له سبحانه وتعالى ولي من الذل ﴿ **من عاد لي ولياً فقد آذنته بالحرب** ﴾ فله أولياء لكن ليس له سبحانه وتعالى ولي من الذل ، لا يحتاج ولا يفتقر إلى أحد مستغني سبحانه وتعالى وغيره إليه مفتقر .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وقوله : بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ﴾ وقوله : ﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ، الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾] .

قوله : يسبح : أي يتره الله من كل عيب ونقص ، ما في السموات وما في الأرض إما بلسان الحال أو بلسان المقال، فكل من في السموات والأرض فإنه يسبح الله أي يتزهه سبحانه وتعالى عن العيوب والنقائص.

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وقوله : ﴿ ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون ﴾] .

هذه الآية فيها إبطال تعدد الآلهة ، فهنا يقول سبحانه وتعالى : ﴿ **ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق** ﴾ لذهب هذا بخلقه وذهب هذا بخلقه ، لكنا نرى عالماً منتظماً ليس فيه أي تزعزع ، فدل هذا على بطلان تعدد الآلهة ، كملوك الدنيا كل ملك يذهب بملكه ، هذا يذهب بملكه وهذا يذهب بملكه ، ولعلا بعضهم على بعض لا يكفي أن ينفرد كل إله بما خلق بل كل إله يحرص على أن يكون له العلو لأن العلو من صفات الرب فإذا علا بعضهم على بعض فالذي علا هو الرب وأما الآخر فإنه عاجز فهذه الآية فيها إبطال لتعدد الآلهة وقوله تعالى : ﴿ **فلا تضربوا لله الأمثال إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ ﴿ **فلا تضربوا لله الأمثال** ﴾ أي الأقيسة بخلقه سبحانه وتعالى لا تقيسوا الله بخلقه ، لا تقولوا أن يد الله كأيدينا ولا وجهه كوجوهنا ولا علمه كعلمنا فلا تقيسوا الله سبحانه وتعالى بخلقه فإن الله يعلم

وأنتم لا تعلمون وقد نفى الله عن نفسه سبحانه وتعالى ذلك فقال : **﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾** .

قال المؤلف رحمه الله تعالى:[وقوله : ﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم يتزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾] .

﴿ قل إنما حرم ربي الفواحش ﴾ الفواحش جمع فاحشة أي ما فحش من الذنوب ، **﴿ ما ظهر منها وما بطن ﴾** ما ظهر كالزنا واللواط والسرقة وشرب الخمر هذه فواحش ظاهرة وما بطن كالرياء وكإرادة الدنيا بالعمل الصالح إلى غير ذلك ، كل ذلك من فواحش القلوب يعني من الفواحش الباطنة ، والإثم أي المعاصي والبغي هي المعصية التي منها عدوان على الناس كأن يقتطع شبراً من أرض أخيه أو أن يغتابه أو أن ينقل الحديث مضارة إلى غير ذلك كل ذلك من العدوان لما فيه من الاعتداء **﴿ وأن تشركوا بالله ما لم يتزل به سلطاناً ﴾** هذا في الشرك: **﴿ وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾** قال ابن القيم رحمه الله بدأ بالأسهل فالأشد ، فأشد ما ذكر أن تقولوا على الله ما لا تعلمون هذا أشد من الشرك لأنه هو أصل الشرك فأصل الشرك القول على الله عز وجل بلا علم ، وأما قوله تعالى : **﴿ أن تشركوا بالله ما لم يتزل به سلطاناً ﴾** أي دليلاً وبرهاناً وليس هناك دليل على الشرك بل الأدلة على التوحيد أي توحيد العبادة لله سبحانه وتعالى .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وقوله : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ ثم استوى على العرش في ستة مواضع في سورة الأعراف قوله عز وجل : ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم على العرش ﴾ وقال في سورة يونس عليه السلام : ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ وقال في سورة الرعد : ﴿ الله الذي رفع السموات بغير عمد تروها ثم استوى على العرش ﴾ وقال في سورة طه : ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ وقال في سورة الفرقان: ﴿ ثم استوى على العرش الرحمن ﴾ وقال في سورة ألم السجدة : ﴿ الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾ وقال في سورة الحديد : ﴿ وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استـــــوى على العرش ﴾] .

هذه الآيات فيها استواء الله سبحانه وتعالى على العرش والعرش في اللغة هو سرير الملك ، وسمي العرش عرشاً لارتفاعه لأنه مرتفع ومنه يسمى العريش ، الذي يصنع من سعف النخل أو نحوه سمي عريشاً لارتفاعه والاستواء على العرش أي بمعنى العلو والارتفاع والاستقرار على العرش.

والاستواء في لغة العرب يطلق على أربعة معاني :

الأول : النضج والاكتمال وذلك إذا لم يعدى بحرف فهو بمعنى النضج ، تقول استوى الطعام ، بمعنى نضج واكتمل: **﴿ ولما بلغ أشده واستوى ﴾** أي تم ونضج وكمل ، إذن استوى إذا لم يعدى بحرف فإنه بمعنى النضج والتمام والكمال .

الثاني : أن يعدى بالواو : فهو بمعنى المساواة تقول استوى فلان وفلان بمعنى تساويا فهنا عُدى الاستواء بالواو ، يقال استوى الماء والخشبه إذا وضعوا خشبه غرزوها في الأرض فأخذ الماء يجتمع حتى وصل إلى أعلاها فيقال استوى الماء والخشبه .

الثالث : فهو بمعنى القصد من علو وفيه قوله تعالى : **﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾** أي قصدها عن علو ، يعني قصدها وهو فوق كل شيء فإذن إذا عُدي بإلى فهو بمعنى القصد من علو : **﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾** أي قصد السماء سبحانه وتعالى عن علو .

الرابع : وهو المراد هنا فهو إذا عُدّى بعلى ، فمعناه الارتفاع والعلو ، يقال استوى على الراحلة أي علا وارتفع واستقر وصعد وهذا المعنى باتفاق من أهل اللغة .

أما أهل التعطيل فقالوا إن استوى بمعنى استولى ، وهذا باطل من عدة وجوه :

والوجه الأول : أن هذا لا يعرف في لغة العرب ، ليس في لغة العرب أن الاستواء يطلق على الاستيلاء ، يعني رجل استولى على شيء فيقال فلان استوى عليه هذا لا يعرف في لغة العرب .

الوجه الثاني : أن كل المواضع في هذا الباب أتت بلفظ الاستواء لم يأتي في أي مواضع بلفظ الاستيلاء ولو كان الاستيلاء هو المراد لأتى ولو بموضع واحد .

الوجه الثالث : أن الله لا يغالبه أحد ، ماذا نفهم من كلمة استولى يفهم أنه كان مملوكاً لغير الله أو أن هناك من مانع الله ثم استولى الله على ذلك ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

إذن : أن المراد موهم أن هناك من يمانع الله ويغالب الله سبحانه وتعالى والله لا غالب له فهو غالب على أمره سبحانه وتعالى .

إذن هذا لعب بالنصوص ، الاستواء هل هو من الصفات الفعلية أو الصفات الذاتية ؟ من الصفات الفعلية ولذا قال الله عز وجل : **﴿ الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ﴾** يعني لم يكن مستوي عليه ثم استوى عليه سبحانه وتعالى والصفات الذاتية لا تنفك فدل هذا على أن الاستواء من الصفات الفعلية .

قال : [وقول الله عز وجل ﴿ يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي ﴾ وقوله : ﴿ بل رفعه الله إليه ﴾ وقوله ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ وقوله ﴿ يا هامان ابن لي صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً ﴾ وقوله ﴿ أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير ﴾].

ساق المؤلف رحمه الله تعالى آيات في إثبات العلو لله سبحانه وتعالى وأن الله فوق كل شيء . وصفة العلو كما سبق في الدرس السابق من الصفات الذاتية ، وأما الاستواء على العرش فإنه من الصفات الفعلية ، ولذا قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ **هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش** ﴾ وثم هنا للتراخي في الزمان فدل على أنه سبحانه لم يكن مستوياً على العرش ثم استوى عليه سبحانه فدل على أن الاستواء على العرش صفة فعلية .

وأما العلو فإنه ثابت بالشرع والعقل والفطرة .

ثابت بالشرع وبالعقل لأنه صفة كمال ليس فيها نقص من أي وجه من الوجوه فثبت لله سبحانه وتعالى ، وكذلك الفطرة ولذا لما حضر بعض أهل العلم من أهل السنة والجماعة أحد مجالس الجويني وهو يقرر نفي العلو لأن الأشاعرة يقولون : الله عز وجل ليس فوق ولا تحت ولا عن يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف ولا داخل العالم ولا خارجه .

هذا هو العدم ، ولذا قال محمود بن سبكتكين الملك المشهور – وهو من الملوك الصالحين – قال : (**هذا هو العدم**) إن قيل لأحد صف لنا العدم ، لوصفه بهذا الوصف و لم يجد أحسن من هذا الوصف .

قال هذا الرجل حضر مجلس الجويني وهو يقرر ما تقدم قال له : دعنا من هذا لكن أخبرنا عن هذه الضرورة التي يجدها أحدنا في قلبه فلم يقل رجل قط يا الله إلا وجد في قلبه ضرورة لطلب العلو ، ولذا تجدون أن الرجل إذا بالغ في الاستشهاد رفع يديه إلى أعلى وقال اللهم اشهد .

وإذا دعا رفع بصره إلى السماء حتى ولو كان ليس بمسلم ، هذه ضرورة قد فطر الله عز وجل العباد عليها **﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾**.

إذن العلو ثابت في الشرع وثابت في العقل وثابت في الفطرة وأما الاستواء فهو ثابت كما تقدم في الشرع .

العلو لا يلزم منه الاستواء لكن الاستواء يلزم منه العلو . فإذا قلت – ولله المثل الأعلى – قد استويت على الراحلة فإنه يلزم من الاستواء العلو وأنك فوق الراحلة . إذن من استوى على شيء فقد علا عليه إذن يلزم

من الاستواء العلو لكن لا يلزم من العلو الاستواء رجل ربط فرسه في عروة في أسفل داره ورقى في الدور العلوي هل هو فوق الفرس ؟ نعم هو فوق الفرس . لكن هل هو مستوٍ على الفرس ؟ ليس بمستوٍ على الفرس . هو فوق داره والفرس تحته على الأرض قد رُبطت بعروة في جدار بيته ، فلا يُقال أنه استوى على الفرس لكنه قد علا عليه .

ولذا كان الله عز وجل فوق كل شيء ثم استوى على العرش استواء يختص بالعرش ويليق بالله سبحانه وتعالى .

وصفة العلو من الصفات التي لا يسوغ فيها الاجتهاد ولذا كفّر أئمة السلف منكري العلو .

ولذا قال إمام الأئمة ابن خزيمة رحمه الله تعالى فيمن لم يقل أن الله على عرشه بائن من خلقه ، قال: يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل . قال : ثم يُرمى بمزبلة لئلا ينتن فيتأذى من رائحته أهل الإسلام وأهل الذمة .

وقال أيضاً الإمام ابن مهدي رحمه الله تعالى : من لم يقل أن الله عز وجل فوق عرشه بائن من خلقه، يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل .

إذن نقول من نفى العلو فقد كفر .

لكن لا يكفر المعيّن حتى تتوفر الشروط وتنتفي الموانع ، لا يكفر الرجل المعيّن المنكر للعلو حتى تتوفر الشروط وتنتفي الموانع ، والجهل من الموانع في مثل هذه المسائل والتأويل جهل . ولذا فإنا لا نكفر الأشاعرة ، وإن كانوا ينكرون العلو ، لما عندهم من التأويل .

ولذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول للأشاعرة لو قلت بقولكم لكنت كافراً . لكني لا أكفّركم لأنكم جُهّال إذن هذه المسألة من المسائل الكبار كما قال شيخ الإسلام التي لا يسوغ فيها الاجتهاد . وتقدم لكم من أقوال السلف في تكفير منكري العلو .

وهذه الآيات التي أوردها المؤلف فيها إثبات العلو فقوله تعالى : ﴿ **بل رفعه الله إليه** ﴾ وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ **إني متوفيك ورافعك إلي** ﴾ وقوله : ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾ كلها تدل على أن الله في العلو .

أيضاً قول الله عز وجل عن فرعون :﴿ **يا هامان ابن لي صرحاً لعلى أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً** ﴾ هذا فيه أن موسى عليه الصلاة والسلام قد أخبر فرعون أن إلهه في السماء . ولذا فإن هذه المسألة من المسائل التي اتفقت عليها الأديان والشرائع أن الله سبحانه وتعالى فوق كل شيء .

كذلك قوله تعالى : ﴿ **أأمنتم من في السماء** ﴾ السماء يصح أن تكون هنا بمعنى العلو أي العلو المطلق ، ويصح أن تكون السماء هنا هي السماء المخلوقة ، وتكون "في" هنا ليست ظرفية وإنما بمعنى "على" كقوله تعالى : ﴿ **لأصلبنكم في جذوع النخل** ﴾ أي على جذوعها فإن في تأتي بمعنى "على" . ﴿ **أأمنتم من في السماء** ﴾ أي من هو فوق السماء من هو على السماء . فالله سبحانه وتعالى يتعالى أن يحيط به شيء من خلقه فلا السماء تظله ولا الأرض تقله عز وجل .

قال تعالى: [وقول الله عز وجل ﴿ هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ وقوله : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكبر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم ﴾ وقوله ﴿ لا تحزن إن الله معنا ﴾ وقوله ﴿ إنني معكما أسمع وأرى ﴾ وقوله ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ وقوله ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ وقوله ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾].

قوله تعالى : ﴿ **هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير** ﴾ في هذه الآية والآيات التي بعدها إثبات المعية لله سبحانه وتعالى ، ومعية الله نوعان :

النوع الأول : معية عامة ، والنوع الثاني : معية خاصة .

أما المعية العامة فهي إحاطة الله سبحانه وتعالى بكل شيء علماً وقدرة وسمعاً وبصراً وقهراً ، فهو سبحانه وتعالى قد أحاط علمه بكل شيء ، قال ابن عباس رضي الله عنه فيما رواه ابن أبي حاتم في تفسيره قال : (**الله في السماء على عرشه وعلمه في كل مكان**) وكذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه كما في الطبراني وفيه : (**والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالنا**) .

إذن هو – سبحانه- فوق عرشه وهو معنا سبحانه وتعالى بعلمه وسمعه وبصره وقهره وقدرته .

وأما النوع الثاني : فهي المعية الخاصة لرسله وأولياءه في تأييده وتوفيقه وإلهامه ونصره .

إذن هذه المعية أي المعية الخاصة تقتضي التأييد والحفظ والنصر والكلأة والعناية من الله سبحانه وتعالى لرسله ولأولياه الصالحين ، هذه معية خاصة .

فقوله : ﴿ **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم** ﴾ والتي قبلها في المعية العامة ﴿ **ولا أكثر إلا هو معهم** ﴾ هذه معية عامة ولذا ختمها الله عز وجل بقوله : ﴿ **أن الله بكل شيء عليم** ﴾ فدل على أن هذه المعية هي إحاطة علمه سبحانه وتعالى بكل شيء فلا يخفى عليه شيء ولا يغيب عنه شيء سبحانه وتعالى .

قال تعالى: [وقول الله عز وجل ﴿ لا تحزن أن الله معنا ﴾ وقوله : ﴿ أنني معكما أسمع وأرى ﴾ وقوله : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا ﴾ وقوله : ﴿ واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ وقوله : ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾].

فالله مع الصابرين ومع المتقين ومع المحسنين سبحانه وتعالى وهذه هي المعية الخاصة التي تقتضي الحفظ والنصرة والتأييد والكلأة والتوفيق والإلهام فهذه هي المعية الخاصة .

قال تعالى: [وقوله : ﴿ ومن أصدق من الله حديثاً ﴾ وقوله : ﴿ ومن أصدق من الله قيلاً ﴾ وقوله : ﴿ وإذا قال الله يا عيسى ابن مريم ﴾ وقوله : ﴿ وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً ﴾ وقوله : ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ وقوله : ﴿ منهم من كلمه الله ﴾ وقوله : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾].

هذه الآيات فيها إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى ، وأن الله يتكلم سبحانه وتعالى بصوت وحرف وأن الكلام منه بدأ و إليه يعود ، وأنه سبحانه وتعالى يتكلم بمشيئته ، إذن عندنا في صفة الكلام أصلان عظيمان:

الأصل الأول : أن الله سبحانه وتعالى يتكلم بصوت وحرف ولا يزال متكلماً سبحانه وتعالى .

الأصل الثاني : وهو أنه يتكلم بمشيئته وعليه فصفة الكلام تتبع المشيئة . إذن هي صفة ذاتية وفعلية، فمن حيث اتصاف الله سبحانه وتعالى بها أزلاً وابداً هي صفة ذاتية لا يمكن أن يوصف الله سبحانه وتعالى بأنه لا يتكلم فهي صفة من هذا الوجه ذاتية ومن حيث أنها تتبع المشيئة أي يتكلم سبحانه وتعالى متى شاء هي صفة فعلية . إذن هي صفة ذاتية فعلية .

قوله : ﴿ **يا عيسى ابن مريم** ﴾ : هذه الجملة تتكون من حروف كذلك هذه الجملة يخاطب بها عيسى عليه الصلاة والسلام فكانت بصوت يسمع ولذا قال عليه الصلاة والسلام كما ثبت في صحيح البخاري قال : (**ثم ينادي بصوت يسمع يا آدم أخرج بعثاً إلى النار .... الحديث**) وأصله في الصحيحين وفيه أن الله يقول : يا آدم ، وقوله يا آدم : هذه الكلمة تتكون من حروف وفي الحديث :

(**ينادي بصوت يسمع**) وفي الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول : ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**)

إذن يتكلم سبحانه وتعالى بصوت وحرف .

قوله : ﴿ **وتمت كلمة ربك صدقاً** ﴾ أي صدقاً في الأخبار ، وعدلاً : أي عدلاً : في الأحكام.

وفي الآية إثبات صفة الكلام لله عز وجل .

قوله : ﴿ **ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه** ﴾ هذه الآية تدل على أن الكلام يتبع المشيئة لأن الله كلمه لما جاء لميقاته فلما جاء لميقات الله سبحانه وتعالى كلمه ربه فدل على أن الكلام يتبع المشيئة .

قال : [وقول الله عز وجل ﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا ﴾ وقوله : ﴿ وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين ﴾ وقوله : ﴿ ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين ﴾] .

قوله : ﴿ **وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا** ﴾ هذه الآية فيها أن كلامه سبحانه وتعالى بصوت لأن النداء هو الصوت العالي .

وأما النجاء فهو الصوت المنخفض ، إذن هذه الآية فيها إثبات أن الله عز وجل يتكلم بصوت يُسمع.

وقوله : ﴿ **وإذ نادى ربك موسى** ﴾ .... إلى قوله : ﴿ **ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين** ﴾ هذه الآيات كلها فيها إثبات النداء والنداء ، كما تقدم هو الصوت المرتفع .

قال : [وقول الله عز وجل ﴿ وإن أحد من المشركين استجارك فآجره حتى يسمع كلام الله ﴾ وقوله : ﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ وقوله : ﴿ يريدون أن يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل ﴾ وقوله : ﴿ واتل ما أوحي إليك من ربك لا مبدل لكلماته ﴾ وقوله : ﴿ إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ﴾ وقوله : ﴿ وهذا الكتاب أنزلناه مبارك ﴾ وقوله : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله ﴾ وقوله : ﴿ وإذ بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما يترل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لا يعلمون * قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت اللذين آمنوا وهدىً وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾] .

قوله : ﴿ **وإن أحد من المشركين استجارك فآجره حتى يسمع كلام الله** ﴾ إذن كلام الله عز وجل صفة من صفاته ولذا قال : ﴿ **حتى يسمع كلام الله** ﴾ وفيه أن القرآن كلام الباري سبحانه وتعالى .

القرآن كلام الباري ، والصوت صوت القارئ ، فالصوت الذي نسمعه ممن يتلو هذا صوت القارئ هـذا مخلوق ولذا قال عليه الصلاة والسلام : (**زينوا القرآن بأصواتكم**) .

إذن الصوت صوت القارئ ، وأما الكلام فهو كلام الباري .

وقوله : **﴿ وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون ﴾ إلى قوله ﴿ ولقد نعلم أهم يقولون إنما يعلمه بشر﴾** هذه الآيات فيها تتزيل القرآن من رب العالمين وهذا يدل على أن القرآن بدأ من الله سبحانه وتعالى كما أنه إليه يعود ولذا قال عليه الصلاة والسلام – فيما ثبت في ابن ماجه بإسناد صحيح – (**يدرس الإسلام كما يدرس وشى الثوب حتى لا يُدرى ما صلاة ولا صيام ولا صدقة ولا نسك ، وليُسرى على كتاب الله في ليلة فلا يبقى منه في الأرض آية**) إذن يعود إلى الله سبحانه وتعالى .

فالقرآن بدأ من الله تعالى وإلى الله عز وجل يعود .

وهذه المسألة هي المسألة التي فُتن بها الإمام أحمد رحمه الله تعالى أمام أهل السنة والجماعة في عصره رضي الله عنه وكذلك فُتن أئمة الإسلام في عصره في هذه المسألة فصبر رحمه الله تعالى فرفع الله قدره وأعلى متزلته قال تعالى : **﴿ وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون ﴾** وقد سُجن رحمه الله تعالى أزيد من سنتين وجُلد بالسياط وهو صابر محتسب لا يتزعزع فرفع الله قدره ورفع درجته وأعلى متزلته رحمه الله تعالى وكان يقول : " من قال أن القرآن مخلوق فهو كافر " .

لكنه لم يكفر الخليفة المأمون ولا قضاته وذلك لما تقدم تقريره من أن هناك فرقاً بين التكفير على الإطلاق والتكفير على الأعيان . فالتكفير على الإطلاق ، نقول أن منكر العلو كافر ، نقول : أن القائل بأن القرآن مخلوق كافر ، لكن لا نكفر الأعيان حتى تتوفر الشروط وتنتفي الموانع .

ويشترط في باب التكفير وهو باب خطير كما هو معلوم شرطان:

الشرط الأول : أن يكون عندنا برهان من الله سبحانه وتعالى أو من رسوله عليه الصلاة والسلام أن هـذه المسألة كفر أكبر ، لابد من برهان على أن من فعل هذا الفعل أو ترك هذا الفعل فإنه كافر ، لابد من نص من كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

الشرط الثاني : أن تتوفر الشروط فيمن يُراد تكفيره وتنتفي الموانع ، والجهل في مثل هذه المسائل من الموانع ، والتأويل كما تقدم نوع من الجهل .

قال : [وقول الله عز وجل ﴿ وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾ وقوله : ﴿ على الأرائك ينظرون ﴾ وقوله : ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ وقوله ﴿ لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد ﴾ وهذا الباب في كتاب الله كثير ، ومن تدبر القرآن طالباً للهدى تبين له طريق الحق] .

هذه الآيات الثلاث من كتاب الله عز وجل فيها إثبات أن المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى يوم القيامة عياناً بأبصارهم .

ومسألة الرؤية أيضاً من المسائل الكبار .

ولذا نص الإمام أحمد رحمه الله تعالى على أن من أنكر الرؤية فإنه مكذب لله كافر بالله يُستتاب فإن تاب وإلا قُتل وحكى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن جمهور السلف .

فالذي ينكر الرؤية هذا مكذب لكتاب الله ومكذب لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الأحاديث في باب الرؤية متواترة عن نحو ثلاثين صحابياً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم والأجزاء كلها دالة على أن المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى يوم القيامة عياناً بأبصارهم.

الآية الأولى يقول الله عز وجل :**﴿ وجوه يومئذٍ ناضرة ﴾** أي حسنة **﴿ إلى ربها ناظرة ﴾** فهي حسنة جميلة تنظر إلى الله سبحانه وتعالى .

وهذه الآية فيها إثبات الرؤية عياناً من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : أن النظر عُدي بـ **(إلى)** والنظر إذا عُدي بـ **(إلى)** فهو صريح في الرؤية بالأبصار. تقول : نظرت إلى زيد : أي أبصرته بعيني .

أما إذا عُدي النظر بـ**(في)** فهو بمعنى التفكر قال تعالى : **﴿ أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض ﴾** أي أو لم يتفكروا في ملكوت السموات والأرض .

تقول : نظرت في الأمر الفلاني : أي تفكرت فيه .

تقول : نظرت في كلامك : أي تفكرت فيه .

وأما إذا لم يُعد لا بـ**(إلى)** ولا بـ**(في)** فإنه بمعنى الانتظار . تقول : نظرت زيداً : أي انتظرته .

ومنه قوله تعالى : **﴿ انظرونا نقتبس من نوركم ﴾** أي انتظرونا .

إذن النظر إذا عُدي ب**(إلى)** فهو بمعنى النظر بالأبصار وأما إذا عُدي بـ**(في)** فهو بمعنى التفكر ، فإن لم يُعد لا بـ**(إلى)** ولا بـ**(في)** فهو بمعنى الانتظار .

الوجه الثاني : أن الله عز وجل أضاف النظر هنا إلى الوجوه التي فيها الأبصار ﴿ **وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ فأضاف النظر إلى الوجوه ، فدل على أنهم يرونه سبحانه وتعالى بأبصارهم التي في وجوههم .

الوجه الثالث : فهو أن السياق هنا سياق بشارة فلو كان المعنى كما يقوله أهل التعطيل :

﴿ **وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾ أي إلى ثوابه منتظرة .

هذا لا يناسب لأن السياق سياق بشارة فلا يناسب فيه الانتظار بل المناسب المبادرة لا الانتظار .

إذن هذا التأويل باطل من هذه الأوجه الثلاثة التي تقدم ذكرها وهي دالة على أن النظر بالأبصار التي في الوجوه وأما الآيات بعدها قوله تعالى : ﴿ **على الأرائك ينظرون** ﴾ هذه كذلك كالآية التي قبل .

وكذلك الآيتان بعد ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾ أي الجنة ﴿ **وزيادة** ﴾ والزيادة هي رؤية الله باتفاق المفسرين .

كذلك أيضاً : ﴿ **لهم ما يشاءون فيها ولدينا مزيد** ﴾ المزيد أيضاً هنا رؤية الله عز وجل بالأبصار باتفاق المفسرين أيضاً وقد ثبت أيضاً في صحيح مسلم : (**أن النبي صلى الله عليه وسلم فسر الزيادة بالنظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى**) .

إذن هذه الأدلة دالة من كتاب الله عز وجل وسيأتي أيضاً في الكتاب الأحاديث النبوية الدالة على هذه المسألة .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى : [فصل في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم – فالسنة تفسر القرآن وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه]

فالسنة هي الحكمة قال تعالى : ﴿ **وأنزلنا إليك الكتاب والحكمة** ﴾ وقال : ﴿ **واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة**﴾ وقال : ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ فالسنة هي الحكمة وهي الدليل الثاني بعد آيات الله وقد قال عليه الصلاة والسلام فيما ثبت في سنن أبي داود وغيره : (**ألا أني أوتيت القرآن ومثله معه**) والسنة هي ما أضيف إلى النبي عليه الصلاة والسلام من قول أو فعل أو إقرار أو وصف فالذي يضاف إلى النبي عليه الصلاة والسلام فيما تقدم ذكره هو السنة ، قال هنا المؤلف السنة إنها تفسر القرآن يعني تشرحه، كما في صحيح البخاري ومسند أحمد وغيرهما في قوله تعالى : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ فأشكل ذلك على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه عليه الصلاة والسلام فقال الظلم هو الشرك ألم تستمعوا إلى قول العبد الصالح : ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ فالسنة تفسر تشرح القرآن ، كذلك أيضاً تبينه ، يعني تبين مجمله كقوله تعالى : ﴿ **وآتوا**

الزكاة ﴾ ما هو المال الزكوي وما هو النصاب الزكوي وما هو القدر الواجب بينته السنة النبوية ، إذاً الآيات المجملات اللاتي يحتجن إلى بيان السنة تبينه ، كذلك قوله تعالى : **﴿ وأقيموا الصلاة ﴾** ما هي أركان الصلاة وما هي واجباتها وما هي عدد الركعات في الصلوات الخمس ، ما هي الصلوات الواجبة بينت ذلك السنة النبوية، وكذلك أيضاً تقيد مطلقه وتخصص عامه ، إذاً السنة تبين مجمل القرآن وتقيد مطلقه وتخصص عامه .

قال : (**وتدل عليه وتعبر عنه**) ، أي إن الذي يرد في القرآن قد يرد في السنة فتواطئ السنة القرآن وهذا يكون من باب تضافر الأدلة يعني يكون في المسألة دليل من الكتاب ودليل أيضاً من السنة كالأمر بالصلاة هو وارد في القرآن والسنة أيضاً دلت عليه كما أن السنة تأتي بأحكام لم ترد في الكتاب كتحريم كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير هذا لم يرد في الكتاب ولكنه وردا في السنة كما أن السنة على الصحيح تنسخ القرآن في أصح قولي الأصوليين .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وما وصف الرسول صلى الله عليه وسلم به ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول وجب الإيمان بها كذلك] .

سواء كانت متواترة أم أحادية فإن السنة يجب العمل بها سواء كانت ثابتة بطريق التواتر ، طريق التواتر هو أن يروي السنة جماعة يستحيل في العادة أن يتواطؤ على الكذب ويسند ذلك إلى شيء محسوس أو كانت بسنة أحادية بأن كان الحديث مشهوراً أو عزيزاً أو غريباً فالسنة الأحادية التي تلقاها أهل العلم بالقبول من الأسانيد الصحاح هذه يُعمل بها أيضاً في باب العقائد وأهل البدع لهم موقفان من السنة النبوية في باب الأسماء والصفات:

الموقف الأول : رد السنة بدعوى أنها أحاديث آحاد لا تفيد العلم إنما تفيد الظن .

الموقف الثاني : رد ما دلت عليه من المعاني وذلك بأن يثبتونها من جهة الرواية لكن يحرفون معانيها .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [فمن ذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم : (ينزل ربنا إلى سماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول : من يدعوني فأستجيب له ؟ من يسألني فأعطيه ؟ من يستغفرني فأغفر له ؟) متفق عليه].

هذا الحديث فيه صفة من الصفات الفعلية الاختيارية ، تقدم أن الصفات الفعلية هي التي ترجع إلى المشيئة وأما الصفات الذاتية فهي التي لا تنفك عن الذات فالنزول من الصفات الفعلية الاختيارية فالله سبحانه وتعالى ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر على الوجه اللائق به ليس كنزول الآدمي : ﴿

فليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ وما يرده أهل الشبه على هذه المسألة ناتج عن تدنس قلوبهم بالتشبيه يعني فمن ذلك قولهم إن الوقت يختلف باختلاف البلدان الآن في بعض البلدان الوقت ثلث الليل الآخر وبعض البلدان في وقت الضحى هذا ناتج عن تدنس قلوبهم وتنجسها بالتشبه لأن الله : **﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾** الآدمي إذا قيل إن فلان في الرياض مثلاً فيعني أنه ليس في حائل وأما الله سبحانه وتعالى الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فإن هذه الشبه لا ترد لأن الله **﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾** ويقال لهم ألا ترون أن الرجل ينام ، وقد ورد في الآثار أن روحه تصعد إلى السماء ومع ذلك فإن الروح في بدنه ولها تعلق أخر أيضاً في السماء ، إذاً هذه الشبه التي يريدها بعض أهل التعطيل هذا ناتج عن تدنس قلوبهم بالتشبيه وأما أهل السنة والجماعة فيقولون : **﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾** فليس نزول الله سبحانه وتعالى إلى سماءه الدنيا كترول المخلوقين تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً وقوله عليه الصلاة والسلام : (**من يدعوني فأستجيب له**) هذا يبطل دعوى أهل التعطيل أن الذي يترل إلى السماء(**رحمة الله**) فيقال وهل تقول الرحمة من يدعوني فأستجيب له ، من يستغفرني فأغفر له ، من يسألني فأعطيه ، هل تقول الرحمة ذلك ؟ ثم ما فائدة البشر من نزول الرحمة إلى السماء إنما يستفيدون من نزول الرحمة إلى الأرض لا إلى السماء ، ثم إن الرحمة صفة فكيف تنفك الصفة عن موصوفها إذاً قوله : من يدعوني فأستجيب له هذا يبطل ما قالوه من أن ذلك نزول رحمة أو ملك ، كذلك في الملك نقول هل الملك يقول : من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه ، والنبي صلى الله عليه وسلم الله عليه وسلم قال في الحديث الصحيح في دعاء الملكين أنهما يقولان: (**اللهم أعط ممسكاً تلفاً وأعط منفقاً خلفاً**) يسألان الله عز وجل وأما أن يقول الملك من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له فهذا باطل ، إذاً هذا من التحريفات التي هي عبث ولعب بنصوص الوحيين وهذا الحديث المتفق عليه (**حديث الترول**) حديث متواتر ذكر ابن القيم أن هذا الحديث رواه عن النبي عليه الصلاة والسلام ثمانية وعشرون صحابياً .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وقوله صلى الله عليه وسلم : (لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته) الحديث متفق عليه] .

هذا الحديث المتفق عليه أيضاً فيه إثبات صفة من الصفات الفعلية وهي صفة الفرح وهو فرح حقيقي يليق به سبحانه وتعالى **﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾** وهذا الفرح يستلزم قبول التوبة ويستلزم الرضا .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وقوله صلى الله عليه وسلم وآله وسلم : (**يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة) متفق عليه]** .

يقاتل هذا في سبيل الله فيستشهد ثم يتوب الله على القاتل يعني كان كافراً وقتل مسلماً ثم يتوب الله على القاتل فيقاتل في سبيل الله فيستشهد فيضحك الله سبحانه وتعالى من هذين الرجلين وهذا الحديث فيه إثبات الضحك لله سبحانه وتعالى على الوجه اللائق به سبحانه لا يشبه ضحك المخلوقين فليس كمثله شيء وهو السميع البصير وهذه الصفة من الصفات الفعلية .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وقوله : (**عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره ينظر إليكم أزلين قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب) حديث حسن]**

هذا الحديث كما قال المؤلف رحمه الله حديث حسن وقد رواه الطبراني وغيره (**عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره**) فيعجب الله سبحانه وتعالى من هؤلاء العباد الذين يعلمون سعة فضله وسعة رحمته سبحانه وتعالى ويعلم أيضاً عز وجل أن تغييره قريب وأن خيره سيأتي (**عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره**) وضبطت (**وقرب غِيَره**) يعني قرب تغييره وتبديله للحال سبحانه وتعالى ينظر إليكم أزلين أي في شدة ، قنطين فيظل يضحك يعلم أن فرجكم قريب هذا الحديث فيه صفتان الصفة الأولى صفة العجب وأن الله سبحانه وتعالى يعجب وهي من الصفات الفعلية قال تعالى في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه : **﴿ بل عجَبتُ ويسخرون ﴾** والقراءة المشهورة: **﴿ بل عجبتَ ويسخرون ﴾** بل عجبتُ بتاء الفاعل أي عجب الله سبحانه وتعالى والقراءة المشهورة عند السبعة بل عجبتَ ويسخرون أيها المخاطب وفي صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**عجب الله من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل**) يعني يدخلون الإسلام بالسيف ويحسن إسلامهم وتستقر العقيدة في قلوبهم وقال عليه الصلاة والسلام فيما ثبت في الصحيحين : (**عجب ربكما من صنيعكما البارحة بضيفيكما**) فهذا يدل على إثبات صفة العجب وهي صفة تليق بالله سبحانه وتعالى .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وقوله صلى الله عليه وسلم : (لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها رجله وفي رواية عليها قدمه فيتروي بعضها إلى بعض وتقول قط قط) متفق عليه]

هذا الحديث فيه إثبات صفة القدم لله سبحانه وتعالى وهي من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن ذات الله سبحانه وتعالى .

قوله : (**وتقول قط قط**) أي حسبي حسبي وتمام الحديث (**ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشئ الله لها خلقاً فيسكنهم فضل جنته**) وهذا الحديث فيه عدل الله وفيه فضله فالنار إذا بقى فيها موضع يطؤها الله سبحانه وتعالى بقدمه فيتزوي بعضها على بعض ولا يخلق لها خلقاً فيسكنهم فضل ناره وأما الجنة فإنه لا يزال فيها فضل فيخلق الله سبحانه وتعالى خلقاً ويسكنهم فضل جنته سبحانه وتعالى هذا فيه فضل الله سبحانه وتعالى وفيه عدله وأن ربك ليس بظلام للعبيد وأن الله لا يعذب إلا بذنب كما سيأتي إن شاء الله بيانه في باب القدر .

قال : [وقوله صلى الله عليه وسلم : يقول الله تعالى : (يا آدم فيقول لبيك وسعديك فينادي بصوت إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار) متفق عليه] .

هذا الحديث دال على أن كلام الله سبحانه وتعالى من حروف بصوت يسمع كما تقدم هذا في درس سابق.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله : (ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان)].

أي ليس أحد منكم أيها المؤمنون إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبين ربه ترجمان وهو الذي ينقل الكلام من لغة إلى أخرى وهذا فيه أيضاً أن الله سبحانه وتعالى يتكلم بحرف وصوت .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله صلى الله عليه وسلم في رقية المريض : (ربنا الله الذي في السماء ، تقدس أسمك أمرك في السماء والأرض كما رحمتك في السماء أجعل رحمتك في الأرض اغفر لنا ذنوبنا وخطايانا أنت رب الطيبين أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع فيبرأ) حديث حسن رواه أبو داود وغيره].

هذا الحديث فيه أن الله في السماء وتقدم الآيات القرآنية الدالة على ذلك ، وهذا الحديث فيه زياد بن محمد الأنصاري وهو منكر الحديث كما قال البخاري والنسائي وقد تفرد بهذا الحديث كما قال الذهبي وعلى ذلك فالحديث إسناده ضعيف وأما دلالته على علو الله سبحانه وتعالى فهذا ثابت في غير هذا الدليل .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله : (ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء) حديث صحيح].

هذا الحديث متفق عليه وفيه أن الله في السماء وتقدم أن المراد بالسماء العلو فليس في تحيط أي المخلوقة تحيط بالله فإن السماء لا تظله سبحانه وتعالى والأرض لا تقله ، فهو فوق كل شيء سبحانه وتعالى .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله : (والعرش فوق الماء والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه) حديث حسن رواه أبو داود وغيره].

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله صلى الله عليه وسلم للجارية : أين الله ؟ قالت : في السماء قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله ، قال : اعتقها فإنها مؤمنة) رواه مسلم].

هذا الحديث فيه رد على المعطلة نفاة العلو ، فإن في هذا الحديث السؤال عن الله سبحانه وتعالى بـأين ؟ وهذا يدل على أن الله سبحانه وتعالى في جهة وهي جهة العلو لكن هذه الجهة ليست بما تقدم جهة مخلوقه فإن الله لا يحيط به شيء من خلقه فهذا الحديث فيه جواز السؤال عن الله سبحانه وتعالى بأين فنقول أيـن الله ؟ فيقول المجيب في السماء.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله : (أفضل الإيمان أن تعلم أن الله معك حيثما كنت)حديث حسن].

هذا الحديث رواه الطبراني وفيه نعيم بن حماد وله مناكير فالحديث في إسناده ضعف .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله : (إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يبصق قبل وجهه ولا عن يمينه فإن الله قبل وجهه ولكن عن يساره أو تحت قدمه) متفق عليه].

وفي البخاري : (**فإن عن يمينه ملكاً**) فلا يبصق قبل وجهه فإن الله قبل وجهه وهذا يدل على إن الله قبل وجه المصلي وهذا لا ينافي علوه ، كما أن الشمس إذا طلعت فوقفت إلى ناحية المشرق أو إذا غربت فوقفت إلى ناحية المغرب فإن الشمس تكون قبل وجهك وهي في السماء فهذا في المخلوق ولله المثل الأعلى فليس هناك تنافي بين العلو وبين كون الله في قبلة وجه المصلي وكما قال تعالى في سورة البقرة : ﴿ **فإينما تولوا فثم وجه الله** ﴾ .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله صلى الله عليه وسلم : (اللهم رب السماوات السبع والأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والقرآن أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت أخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقضي عني الدين وأغنني من الفقر) رواه مسلم].

والشاهد قوله : (**وأنت الظاهر فليس فوقك شيء**) فهو سبحانه وتعالى فوق كل شيء وهو محيط بعباده فهو أقرب إلى أحدنا من عنق راحلته يعني أقرب إلينا بعلمه وسمعه ورؤيته وقدرته سبحانه وتعالى فهو على عرشه لكنه باطن أقرب إلى العباد من عنق راحلة أحدهم سبحانه وتعالى ، إذاً هو قريب في علوه سبحانه وتعالى وذاته فوق العرش فوق كل شيء وهو محيط بنا علماً وسمعاً ورؤية وقدرة عز وجل .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله لما رفع الصحابة أصواتهم بالذكر : (أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنما تدعون سميعاً بصيراً قريباً إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته) متفق عليه].

أربعوا على أنفسكم أي هوِّنوا عليها وهذا فيه أن الأصل في الذكر الإسرار هذا هو الأصل ، لكن إن ورد دليل يدل على استحباب الجهر بالذكر كالتهليل دبر الصلوات المكتوبة فإن هذا الدليل الخاص يدل على الاستثناء لكن الأصل في الذكر أن يكون سراً وإنما يجهر به على الدليل ، وقوله إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته تقدم يعني أقرب إلينا بعلمه سبحانه وتعالى فهو معنا بعلمه ، بسمعه ، برؤيته ، بقدرته عز وجل .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله صلى الله عليه وسلم : (إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته فإن إستطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا) متفق عليه].

قوله : إنكم سترون ربكم كما ترون القمر هذا في إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة وفي هذا تشبيه للرؤية بالرؤية لا للمرئي بالمرئي تشبيه الرؤية بالرؤية يعني بالوضوح والظهور فكما أنا نرى الشمس رابعة النهار ونراها في أكمل ما يكون من الوضوح والبيان والظهور فإنا نرى الله سبحانه وتعالى كذلك ، إذاً تشبيه للرؤية بالرؤية أي في وضوحها وظهورها لا للمرئي وهو الله عز وجل بالمرئي وهو الشمس أو القمر ، وقوله لا تضامون: ضبطت لا تضامون بتخفيف الميم أي لا يلحقه ضيم أي ظلم ليس أحد يظلم الآخر ، إذا حضر أحد يحب الناس أن يطلعوا عليه أو خرج شيء يحب الناس أن يطلعوا عليه فازدحموا فقد يظلم بعضهم بعضاً ، أي يحجب بعضهم بعضاً فيكون بعضهم يرى دون الآخر لكن رؤية الشمس والقمر لا يلحق أحدنا ضيم في رؤيتها حتى لو ازدحم الناس فإن الكل يرى الشمس والكل يرى القمر كذلك في رؤية الله سبحانه وتعالى ، وضبطت بتشديد الميم " لا تضامُّون " من الإنضمام أي ما تحتاجون أن ينضم بعضكم إلى بعض لخفاء الرؤية، تعلمون إذا كان الشيء خفي فإن الناس يجتمعون وكل يعين الآخر في رؤيته هذا يقول هاهنا انظر إليه هكذا حتى يقع النظر ، هذا للخفاء فالشيء إذا كان خفي فإن الناس ينضم بعضهم إلى بعضاً من أجل أن تكون الرؤية للكل صافية ظاهرة ، فليست الرؤية خفية حتى ينضم بعضكم إلى بعض بل هي رؤية واضحة بينه .

وقوله على صلاة قبل طلوع الشمس هي صلاة الصبح وقبل غروبها هي صلاة العصر وفيه فضيلة هاتين الصلاتين.

إلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه بما يخبر به، فإن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة يؤمنون بذلك كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه العزيز من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل تقدم شرحه ، بل هم الوسط في فرق الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم .

فنهم الوسط أي العدول الخيار ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ﴾ **أي عدولاً خياراً فهم وسط بين سائر الفرق المنتسبين إلى الإسلام كما أن هذه الأمة وسط بين سائر الأمم ، هذه الأمة وسط في عقائدها في تشريعاتها في أعمالها وسط بين سائر الأمم وهذه الفرقة الناجية المنصورة وسط بين سائر الفرق ، وهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة .**

فهم وسط في باب صفات الله بين طائفتين ، طائفة النفاة وطائفة المشبهة فالجهمية نفاة يقولون ليس لله وجه ليس لله يد ليس له سمع ليس له بصر هؤلاء نفاة وبين المشبهة الذين يقولون إن لله سمعاً كسمعنا ويقولون تعالى الله عما يقولون إن لله بصراً كبصرنا وهكذا ، فأهل السنة والجماعة وسط بين هاتين الطائفتين بين أهل التعطيل الجهمية نفاة الصفات وبين المجسمة المشبهة الذين يثبتون الصفات لكنهم يشبهونها بصفات الخلق ، أما أهل السنة والجماعة فيقولون نحن نجمع بين الإثبات ونفي التمثيل فلله سمع لا كسمعنا وله بصر لا كبصرنا ﴿ فليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وهم وسط في باب أفعال الله تعالى بين القدرية والجهمية]

كذلك وسط في باب أفعال الله بين الجبرية الذين يقولون إن العبد لا فعل له هو مجبور على فعله ، حركاته بالأفعال كحركات المرتعش وكالريشة في الهواء فليس للعبد عند الجبرية فعل بل الله الفاعل عندهم وبين القدرية المعتزلة الذين يقولون إن العبد خالق لفعله فالأفعال عندهم مخلوقة للعباد وسيأتي بيان هذا إن شاء الله.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وفي باب وعيد الله تعالى بين المرجئة والوعيدية من القدرية وغيرهم]

في باب الوعيد أي في الآيات والأحاديث التي فيها وعيد لأهل الكبائر كالزناة ، وشاربي الخمر وغيرهم فالآيات والأحاديث التي فيها وعيد أهل السنة والجماعة وسط بين طائفتين :

الطائفة الأولى : المرجئة وهم الذين يقولون أنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما قال بعضهم : فأكثر ما استطعت من المعاصي إذا كان القدوم على كريم

الطائفة الثانية : الوعيدية من القدرية والحرورية وهؤلاء يسمون بالوعيدية هؤلاء اتفقوا على أن أهل الكبائر إذا ماتوا بلا توبة ، يعني الزاني يموت بلا توبة يتفقون على أنهم خالدون في نار جهنم ، يعني يتفق على ذلك المعتزلة والخوارج ، يقولون هم خالدون في نار جهنم ويتفقون أيضاً على نفي الإيمان عنهم.

وأما في أحكام الدنيا ففاعل الكبيرة الذي لم يتب بعد وهو عند الخوارج كافر يستحل دمه وماله ، وعند المعتزلة هو في المنزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ، ويأتي أيضاً مزيد بيانه إن شاء الله .

قال : [وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية]

كما تقدم في البيان السابق .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وفي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين الرافضة والخوارج]

فالرافضة عندهم غلو هذا هو أصل دينهم الغلو في آل البيت فغلوا في بعض الصحابة رضي الله عنهم غلوا في علي والحسن والحسين وفي ذريتهما أي في ذرية الحسن والحسين أما الخوارج فإنهم فرطوا وجفوا فكفروا علي رضي الله عنه ، إذن غلو الرافضة إنما هو في علي رضي الله تعالى عنه وآل بيته وأما سائر الصحابة فهم أهل جفاة وأهل تفريط ولذا فإنهم يرون أن سائر الصحابة كفار مرتدون إلا نفراً يسيراً لا يعدون بالأصابع ، إذن عندهم تفريط في جانب آخر لكن في جانب آل البيت عندهم غلو .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله والإيمان بما أخبر الله به في كتابة وتواتر عن رسوله وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه عليّ على خلقه وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون كما جمع بين ذلك في قوله : ﴿ هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾]

قد تقدم شرح هذا .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وليس يعني قوله : ﴿ وهو معكم ﴾ أنه مختلط بالخلق ، فإن هذا لا توجبه اللغة بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوع في السماء وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان]

فالقمر في السماء ونقول سرنا والقمر معنا ، فقولنا سرنا والقمر معنا هل يقتضي هذا أنا مختلطون به ؟ لا يقتضي ذلك فهذا لا توجبه لغة العرب فهؤلاء الجهلة في لغة العرب ظنوا أنهم إذا قيل إن الله معنا ، أن معنى ذلك أنه مختلط بنا تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وهو سبحانه فوق عرشه رقيب على خلقه مهيمن عليهم مطلع إليهم ، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته وكل هذا الكلام الذي ذكره الله سبحانه من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته لا يحتاج إلى تحريف ولكن يُصان عن الظنون الكاذبة مثل أن يظن أن ظاهر قوله : ﴿ في السماء ﴾ أن السماء تظله أو تقله]

هذا ظن سيئ في الله سبحانه وتعالى ، ظن كاذب فالذي يظن أن معنى " أن الله في السماء " أن الأرض تقله وأن السماء تظله فهذا ظن كاذب فالله فوق كل شيء فوق السموات السبع وفوق العرش وفوق كل شيء سبحانه وتعالى .

قال : [وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان فإن الله تعالى قد وسع كرسيه السموات والأرض]

الكرسي موضع قدم الرب سبحانه ، هذا الكرسي وسع السموات والأرض فكيف يُظن أن الله عز وجل تقله الأرض أو أن السماء تظله تعالى الله عز وجل عن ذلك علواً كبيراً .

قال : [قال : ﴿ وهو الذي يمسك السموات والأرض أن تزولا ﴾ وقوله : ﴿ ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ﴾ وقوله : ﴿ ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ﴾]

قال : [وقد دخل في ذلك الإيمان بأنه قريب مجيب كما جمع بين ذلك في قوله : ﴿ وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان ﴾ وقوله صلى الله عليه وسلم : (إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته) وما ذكره في الكتاب والسنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته وهو علي في دنوه قريب في علوه]

فليس كمثله شيء وهو السميع البصير فهو علي في دنوه مع أنه قريب إلى عباده لكنه فوق كل شيء سبحانه وتعالى كما أنه قريب في علوه فهو فوق كل شيء لكنه أقرب إلى أحدنا من عنق راحلته أي بعلمه وسمعه ورؤيته سبحانه وتعالى .

قال : [ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود وأن الله تكلم به حقيقة . وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره . ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة . بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقة .]

كما تقدم نقول الصوت صوت القارئ والكلام كلام البارئ سبحانه وتعالى .

قال : [فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئا لا إلى من قال مبلغاً مؤديا]

فبنسبه إلى الرسول في قوله تعالى : ﴿ إنه لقول رسول كريم ﴾ **لأن الرسول من قبله الأداء والبلاغ فينسب الكلام إلى من قاله مبتدئاً كما ينسب إلى من قاله مبلغاً مؤدياً .**

لكن نسبته إلى الذي ابتدأه نسبه حقيقة .

قال : [وهو كلام الله حروفه ومعانيه]

فالحروف والمعاني من الله سبحانه وتعالى .

قال : [ليس كلام الله حروفاً دون المعاني ولا المعاني دون الحروف]

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقد دخل أيضاً فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبرسله الإيمان بأن المؤمنين يرونه يوم القيامة عِياناً بأبصارهم كما يرون الشمس صحوا ليس دونها سحاب وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى]

قال: [ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت]

هذا هو تعريف الإيمان باليوم الآخر : أن تؤمن بكل ما جاء في الكتاب والسنة مما يكون بعد الموت فيدخل في ذلك القبر فتنته وعذابه ونعيمه ، ويدخل في ذلك الحساب والحشر والميزان والصراط والشفاعة والجنة والنار .

قال تعالى: [فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر ونعيمه].

فتنة القبر هي سؤال الملكين يعني أن يختبر الملكان هذا الميت فيسألانه من ربك وما دينك ومن نبيك وقد قال صلى الله عليه وسلم : (**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم فيأتيه الملكان فيقولان له ما تقول في هذا الرجل** .... الحديث) هذه هي فتنة القبر ، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما ثبت في الصحيحين : (**ولقد أوحي أن هذه الأمة تفتن في قبورها**) ولكن هل الفتنة تعم الأمم السابقة أم أنها تخص هذه الأمة ؟

لأهل العلم ثلاثة أقوال فيها :

١- **القول الأول** : أنها تخص هذه الأمة .

٢- **القول الثاني** : ومنهم من قال أنها تعم الأمم كلها .

٣- **القول الثالث** : واختاره ابن عبدالبر المالكي رحمه الله وهو أصح الأقوال الثلاثة اختار التوقف ، يعني نقول الله أعلم فليس عندنا من الكتاب والسنة ما يدل على إثبات فتنة القبر للأمم الأخرى وليس عندنا أيضاً ما ينفي .

وأما عذاب القبر فإنه يعم الأمم السابقة وأمة محمد صلى الله عليه وسلم والأدلة قد دلت على ذلك ومنها :

١- قال تعالى : ﴿ **النار يُعرضون عليها غدواً وعشيا ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾ .

٢- وقال تعالى : ﴿ **وإن للظالمين عذاباً دون ذلك** ﴾ ومعلوم أن من الظالمين من يموت و لم يُعذب في الدنيا فدل على أن العذاب المذكور هنا عذاب القبر فكل ظالم يناله هذا العذاب وقوله سبحانه : ﴿ **دون ذلك** ﴾ أي دون عذاب الآخرة .

٣- وثبت في الصحيحين أن عجوزاً يهودية قالت لعائشة رضي الله عنها : (**إن الناس يُعذبون في قبورهم** – الناس هذا عام – **فذكرت عائشة ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال : صدقت إنهم ليعذبون عذاباً تسمعه البهائم**)

إذن عذاب القبر ليس بخاص وأما فتنة القبر فالتوقف فيها هو الصحيح كما تقدم .

فتنة القبر لا يدخل فيها الطفل لأنه غير مكلف وهذا هو أصح القولين وهو اختيار أبي يعلى وابن عقيل من الحنابلة، وأما ما ورد من قول أبي هريرة في الدعاء للطفل : (**اللهم أجره من عذاب القبر**) فإن المراد

بعذاب القبر هنا الضمّة التي تحصل لمن يدخل القبر يعني ألم يحصل بضمة القبر للميت وهذا كما ثبت في سنن النسائي وغيره أن هذا يحصل لسعد بن معاذ رضي الله عنه .

عذاب القبر ونعيمه يشملان للبدن والروح وهذا بإجماع أهل السنة والجماعة وعليه تدل ظاهر النصوص ، والروح لها مع البدن خمس تعلقات كل تعلق يختلف عن الآخر :

١- **التعلق الأول** : تعلق الروح بالبدن في الرحم شأنها يختلف إذا تم للجنين أربعة أشهر قُذفت فيه الروح ، هل الروح في قدرتها وفي اختلاطها بالبدن وغير ذلك هل هي كحالها بعد الولادة ؟

الجواب : يختلف ذلك الروح تتعلق بالبدن في الرحم تعلقاً آخر ولذا فإن الرجل إذا وضع في موضع كالرحم لمات و لم يحتمل .

٢- **التعلق الثاني** : تعلق بعد الولادة في اليقظة .

٣- **التعلق الثالث** : تعلق في المنام .

٤- **التعلق الرابع** : تعلق في القبر .

٥- **التعلق الخامس** : تعلق في الجنة والنار .

ولذا أهل النار لا يُقضى عليهم فيموتوا ، ولو وضع في نار الدنيا زمناً يسيراً لفاضت روحه.

والروح عين تسري في الجسد كما يسري الماء في الإسفنج ولذا قال عليه الصلاة والسلام : (**إ ن الروح إذا قُبضت تتبعه البصر**) رواه مسلم ، يعني إذا قُبضت الروح فإن البصر يكون شاخصاً ينظر إلى هذه الروح ولذا تُغطى عينا ه .

والروح من أمر ربي ، ومن هنا لابتداء الغاية أي أنها مبتدأة من الله يعني أنها مخلوقة من الله .

والروح في البرزخ تكون إما في الجنة وإما في النار ، فأرواح الكفار في النار ، وأما أرواح المؤمنين فهي في الجنة ، ولذا قال صلى الله عليه وسلم فيما رواه النسائي وغيره : (**إنما نسمة المؤمن طائر يَعْلق** – أي يطعم – **من أشجار الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم القيامة**) وفي مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**أرواح الشهداء في حواصل طير خضر لها قناديل معلقة في العرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم تأوي إلى تلك القناديل**) .

وبالنسبة لسؤال الملكين (فتنة القبر) هناك من يستثنى : الشهيد فدلت الأدلة على أنه يستثنى من ذلك قال عليه الصلاة والسلام : (**كفى ببارقة السيوف فوق رأسه فتنة**) رواه النسائي يعني يكفي بارقة السيوف

أي عندما يقاتل ويكون في الصفوف فإن السيوف تبرق فوق رأسه فيكفي هذا في فتنته وأولى من ذلك النبي.

كما أن فتنة القبر لا تختص بالمقبور بل تعمه وتعم نظيره كالمصلوب والغريق وأكيل السبع وغيره . فالأموات كلهم يُفتنون سواء كانوا في قبورهم أو خارج القبور وعذاب القبر داخل في أمور الآخرة أي إن أهل الدنيا لا يُحسونه من الثقلين ولذا لو أتينا إلى القبر فإنا لا نجد أن القبر يحترق إذا كان المدفون فيه كافراً ولا نرى أن القبر متسعاً بأعيننا إن كان مؤمناً لأن الأمر أمر غيبي أخروي وقد أرانا سبحانه من عجائب صنعه ما هو أعظم من ذلك ومعلوم أن الشيء يعلم إمكانه إما بإمكان نظيره أو بإمكان ما هو أعلى منه ، مثاله هذا الذي صنع المكيف الذي قوته كذا وكذا هل يستطيع أن يصنع نظيره ؟ نعم يمكنه ، وهل يستطيع أن ينع مكيفاً أضعف منه ؟ نعم نقطع بهذا ، لكن هل يستطيع أن يصنع ما هو فوقه ؟ نقول لا ندري.

ثم ألا ترى أن الرجل ينام عندك ويشعر بألم وعذاب أو يشعر بنعيم وأنت لا تشعر بشيء من ذلك إلى غير ذلك من عجيب صنع الله تعالى . والمؤمن يؤمن بالغيب قال تعالى : ﴿ **الم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين ، الذين يؤمنون بالغيب** ...... ﴾ فالذي تتميز به أيها المؤمن عن غيرك إنما هو الإيمان بالمغيبات ، وأما الأمور الحسية فإن كلاً يؤمن بها .

وقد أنكر عذاب القبر المعتزلة والخوارج وقد قال الإمام أحمد رحمه الله : " من أنكر عذاب القبر فهو مبتدع ضال " . وأما الذي ينكره تكذيباً للنصوص مع وضوحها عنده فهذا كفر أكبر نسأل الله العافية.

قال : [فأما الفتنة فإن الناس يُمتحنون في قبورهم فيُقال للرجل ، من ربك وما دينك وما نبيك ؟ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، فيقول المؤمن ربي الله والإسلام ديني ومحمد صلى الله عليه وسلم نبيي ، وأما المرتاب فيقول هاه هاه لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته ، فيُضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعِق ، ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى فتُعاد الأرواح إلى الأجساد].

إذاً الأرواح لم تفنى لكنها فارقت الأبدان .

قال : [وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله وأجمع عليها المسلمون ، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلاً وتدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق فتنصب الموازين فتوزن بها أعمال العباد].

الغرل : يعني القلف يعني أنهم غير مختونين كما بدأنا أول خلق نعيده وقال عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين : (**أيها الناس إنكم محشورون إلى ربكم حفاة عراة غرلاً كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين**) .

وأما الموازين فهي جمع ميزان والميزان هو الذي توزن بها الأعمال يوم القيامة ، وهو ميزان واحد على الصحيح وله كِفتان وأما جمعه في نحو قوله تعالى : ﴿ **ونضع الموازين القسط يوم القيامة** ﴾ باعتبار تعدد ما يوزن فيه فتوزن بها الأعمال كما قال صلى الله عليه وسلم في الصحيحين : (**كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**) .

وقد يكون الوزن للأشخاص ولذا قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام أحمد في ساقي ابن مسعود قال : (**لهما في الميزان أثقل من جبل أحد**) لَمَّا تعجب الناس من دقة ساقيه رضي الله عنه ، وتوزن فيه الصحف يعني صحف الأعمال توضع أيضاً في الموازين ولذا ورد في المسند والترمذي وغيرهما في قصة صاحب البطاقة قال عليه السلام : (**فتوضع البطاقة في كِفة والسجلات في كِفة**) وهذا فيه أن الميزان له كِفتان قال : (**فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يثقل مع اسم الله شيء**) لأن البطاقة فيها لا إله إلا الله .

قال أكرم الله نزله في جنات النعيم : [﴿ فمن ثقلت موازينه فأؤلئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأؤلئك في جهنم خالدون ﴾ وتنشر الدواوين وهي صحائف الأعمال فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره كما قال سبحانه وتعالى ﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ ويحاسب الله الخلائق ويخلو بعبده المؤمن].

والحساب نوعان :

١- حساب إنما هو عرض وهو الحساب اليسير وهو أن الله يقرر العبد بذنوبه : يا فلان فعلت كذا في يوم كذا ثم يقول سبحانه وتعالى وهو السّتّير العفو الغفور (**أني قد سترتها عليك في الدنيا وأنا اغفرها لك اليوم**) كما ثبت في الصحيحين ، وقال عليه السلام : (**ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا عُذِّب قالت عائشة : يا رسول الله أو ليس الله قد قال : ﴿ فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً ﴾ فقال صلى الله عليه وسلم : إنما ذلك العرض وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك**) .

٢- حساب النقاش ولا يناقش الله أحداً يوم القيامة إلا عذبه .

قال : [ويخلو العبد المؤمن فيقرره بذنوبه ، كما وصف ذلك في الكتاب والسنة، وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فإنه لا حسنات لهم ولكن تعد أعمالهم فتحصى فيوقفون عليها ويقرون بها ويجزون بها].

هنا مسألة وهي إن الصور الذي ينفخ فيه : قرن ينفخ فيه إسرافيل عليه السلام فقد ثبت في الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الصور ؟ فقال : (**قرن ينفخ فيه**) أي مثل شكل القرن ، وإجماع العلماء على أن إسرافيل هو الذي ينفخ في الصور لورود آثار عن السلف وإن لم يثبت فيه حديث مرفوع .

وهناك نفختان :

١- النفخة الأولى : نفخة الفزع .

٢- النفخة الثانية : نفخة البعث والنشور .

قال تعالى : ﴿ **ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله** ﴾ هذه نفخة الفزع والصعق ﴿ **ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون** ﴾ هذه نفخة البعث والنشور وكم بينهما ؟ قال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم : (**بين النفختين أربعون فقيل لأبي هريرة أربعون يوماً قال أبيت أي لا أقول ذلك ، فالرسول أطلق ولم يقيد ، قالوا : أربعون شهراً قال : أبيت ، قالوا : أربعون سنة قال أبيت** يعني الله أعلم **قال ثم ينزل الله مطراً من السماء** – وقد وردت آثار عن السلف إن هذا المطر كمني الرجل – **فتنبت أجساد العباد كما ينبت البقل ، وكل ابن آدم يفنى إلا عجب الذنب منه يخلق ومنه يركب**) .

قال : [وفي عرصات القيامة الحوض المورود للنبي صلى الله عليه وسلم ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل ، آنيته عدد نجوم السماء ، طوله شهر وعرضه شهر ، من يشرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبدا]

والعرصات جمع عرصة وهو في اللغة : المكان المتسع بين البنيان ، والمراد به هنا مواقف القيامة يعني في مواقف القيامة الحوض المورود ، ويكون قبل الصراط والحوض في اللغة : مجمع الماء .

والأحاديث في الحوض متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن نحو خمسين صحابياً على ذلك فمنكر الحوض مبتدع ضال وممن أنكر الخوارج والمعتزلة ، ويخشى على من أنكره أن يمنع منه ولذا روى أبو داود في سننه بإسناد صحيح أن عبيد الله بن زياد بن أبيه قال لأبي برزة الأسلمي رضي الله عنه : هل سمعت من

النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً في الحوض ؟ فقال : أبو برزة : نعم، لا مرة ولا مرتين ولا ثلاثاً ولا أربعاً ولا خمساً ، من كذبه فلا سقاه الله منه .

وثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في وصفه : (**حوضي مسيرة شهر ماؤه أشد بياضاً من اللبن وريحه أطيب من المسك**) وفي رواية لمسلم – (**وأحلى من العسل**) وفي المسند – (**وأبرد من الثلج ، آنيته كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ بعده أبداً**) ويُمد من الكوثر الذي قال الله فيه ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ فقد ثبت في حيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل عليه قوله تعالى: ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ قام النبي عليه السلام فتبسم وقال:(**نزلت علي سورة بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾**) ثم قال عليه السلام : (**إنه نهر وعدنيه ربي عز وجل عليه خير كثير ، ترد إليه أمتي يوم القيامة ، فيختلج منه أناس فأقول : يا رب أمتي أمتي فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**) ومعنى يختلج عنه : أي ينتزع أناس مما أحدثوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم ممن أرتد عن الإسلام أو كان منافقاً وكان يظنه النبي صلى الله عليه وسلم موحداً وهو في الباطن منافق أو أيضاً ممن أرتد عن الإسلام بعد وفاة الرسول عليه السلام .

والحوض لا يختص بالنبي صلى الله عليه وسلم بل لكل نبي حوض فقد ثبت في الترمذي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**إن لكل نبي حوضاً وإنهم يتباهون يوم القيامة أيهم أكثر واردا ، وإني لأرجوا أن أكون أكثرهم واردا**) .

إذاً خلاصة ما تقدم : إن الحوض هو مجمع الماء ، ترد إليه الأمة يوم القيامة ، فيذاد عنه من أحدث من أمة النبي صلى الله عليه وسلم بعده وهذا الحوض إنكاره بدعة وضلالة ، وقد أنكره المعتزلة والخوارج ويختلج عنه أناس من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

قال : [والصراط منصوب على متن جهنم وهو الجسر الذي بين الجنة والنار يمر الناس على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كركاب الإبل ، ومنهم من يعدو عدواً ، ومنهم من يمشي مشياً ، ومنهم من يزحف زحفاً ومنهم يخطف خطفاً ويلقى في جهنم فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم فمن مر على الصراط دخل الجنة] .

والصراط جسر ينصب على متن جهنم فيجوزه الناس من أمة محمد ومن سائر أتباع الأنبياء وفيهم المنافقون وفيهم الفساق – بقدر أعمالهم ، وهذا الجسر أدقُّ من الشعر وأحدُّ من السيف فيثبت الله الذين آمنوا

بالقول الثابت في الحياة وفي الآخرة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما ثبت في الصحيحين : (**وتبقى هذه الأمة وفيها منافقوها فينصب الصراط فأكون أول من يجوز ودعاء الرسل يومئذ : اللهم سـلِّم سـلِّم فيجوزه الناس بقدر أعمالهم فمنهم الموبق بعمله ومنهم المُخردل ثم ينجو**) .

وقد ذكر المؤلف هنا (**فمنهم من يمر كلمح البصر** .... الخ) وهذا ثابت في الصحيحين وقد قال تعالى : ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً** ﴾ كما قال أبو سعيد كما في صحيح مسلم : (**بلغني أن الصراط أدق من الشعر وأحد من السيف**) وفي مستدرك الحاكم : (**إنه كالموسى**) مثل الموس المعروف وفي قوله صلى الله عليه وسلم : (**فأكون أول من يجوز ودعاء الرسل يومئذ اللهم سلِّم سلِّم**) فيه دليل على أن المرور ليس خاصاً بهذه الأمة وأما عبدة الأوثان وعبدة الشمس وعبدة القمر فإن هؤلاء لا يُعرضون على الصراط كما ثبت هذا في الصحيحين وإنما يكون هذا للأمة بمنافقيها وكذلك سائر أمم الأنبياء .

قال المؤلف رحمه الله [فإذا عبروا عليه وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض ، فإذا هُذِّبوا ونُقوا إذن لهم في دخول الجنة] .

القنطرة جسر يكون الصراط يُحبس عليه المؤمنون ليهذبوا وينقوا فقد ثبت في صحيح البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**إذا خلص المؤمنون من النار ﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾ أي تجاوزوا الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيتقاضون مظالم كانت بينهم ، فإذا هذبوا ونقوا دخلوا الجنة**) قال تعالى : ﴿ **ونزعنا ما في دورهم من غل** ﴾ فيزول ما ينقي نفوسهم من الغل والأحقاد ويتقاضى من بعضهم لبعض .

قال المؤلف رحمه الله [وأول من يستفتح باب الجنة محمد صلى الله عليه وسلم] .

وهذا من فضائله عليه السلام على سائر الأنبياء والمرسلين فقد ثبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**آتي باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول : أنا محمد فيقول : بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك**) .

قال المؤلف رحمه الله [وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته] .

ولذا قال عليه الصلاة والسلام كما في صحيح البخاري ومسلم : (**نحن الآخرون– أي زمناً– السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم**) .

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى : [وله صلى الله عليه وسلم في القيامة ثلاث شفاعات أما الشفاعة الأولى فيشفع في أهل الموقف حتى يقضي بينهم بعد أن يتراجع الأنبياء ، أدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم عن الشفاعة حتى تنتهي إليه .

وأما الشفاعة الثانية فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة وهاتان الشفاعتان خاصتان له

وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار – وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم – فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها ، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها ، ويخرج الله من النار أقواماً بغير شفاعة بل بفضله ورحمته ويبقي في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا ، فينشئ الله لها أقواماً فيدخلهم الجنة وأصناف ما تضمنته الدار الآخرة من الحساب والثواب والعقاب والجنة والنار وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء والآثار من العلم المأثور عن الأنبياء وفي العلم الموروث عن محمد صلى الله عليه وسلم من ذلك ما يشفي ويكفي فمن ابتغاه وجده]

الشفاعة من الشفع ضد الوتر وسميت الشفاعة شفاعة – وهي طلب الخير للغير – لأن الشفيع ضم صوته إلى صوت المشفوع له فمثلاً هذا رجل يحتاج إلى دراهم يقترضها من رجل غني فذهبت معه كواسطة أو شفيع الآن قد تكون ضممت طلبك إلى طلبه فبعد أن كان طلبه وتراً – منفرداً – ضممت إليه طلبك فأنت شفيع وهو مشفوع له والغني مشفوع عنده فإذا سألت الله لأحد من العباد فأنت شافع وهذا المسؤول له مشفوع له والله مشفوع عنده .

وللنبي صلى الله عليه وسلم ستة أنواع من الشفاعة بعضها خاصة به عليه السلام وبعضها ليس بخاص للنبي .

فأما أولها :

١- الشفاعة لأهل الموقف بأن يفصل بينهم فإن أهل الموقف يأتيهم من البلاء الشيء العظيم فيسألون الأنبياء واحداً واحداً أن يشفع لهم عند الله ليفصل بينهم حتى يكون شفيعهم هو النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى : ﴿ **عسى ربك أن يبعثك مقاماً محموداً** ﴾ والمقام المحمود هي الشفاعة العظمى فقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**أنا سيد الناس يوم القيامة – الحديث – وفيه أن الناس يوم القيامة يقولون : ألا ترون ما نحن فيه ؟ ألا تنظرون من يشفع لنا عند ربنا ؟ فيأتون الأنبياء نبياً نبياً ، كل نبي يقول نفسي نفسي ، أذهبوا إلى غيري ، فيأتون إلى النبي عليه السلام فيقولون : يا محمد : أنت رسول الله وخاتم النبيين وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ألا ترى ما نحن فيه ؟ ألا تشفع لنا عند ربنا ؟ قال النبي صلى الله**

عليه وسلم : فأقوم حتى أكون تحت العرش فأقع ساجداً سبحانه وتعالى ، قال فيفتح الله لي من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد من قبل ، ثم يقال : يا محمد أرفع رأسك ، وسل تعطه ، واشفع تشفع) هذه هي الشفاعة العظمى الخاصة به صلى الله عليه وسلم الشفاعة العظمى أن يشفع النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ليُفصل بينهم وليحكم الله بينهم بحكمه سبحانه وتعالى .

٢- الشفاعة الثانية الخاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم : أنه يشفع لمن لا حساب عليه أن يدخل الجنة فقد ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث الشفاعة الطويل : (**فأقول يا رب أمتي أمتي ، فيقال أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من الجنة وهم شركاء الناس فيما سواه من الأبواب**) وهم السبعون ألفاً ومن يدخل في شفاعتهم لأن مع كل ألف سبعين ألفاً كما ورد في الحديث فهؤلاء يدخلون الجنة من الباب الأيمن بشفاعته عليه السلام .

٣- الشفاعة الثالثة الخاصة به عليه الصلاة والسلام أنه يشفع لأهل الجنة أن يدخلوها ، فأهل الجنة لا يدخلوها إلا بشفاعته بأبي وأمي هو صلى الله عليه وسلم فقد ثبت في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم قال : (**تُزلف الجنة للمؤمنين يوم القيامة فيأتون آدم فيقولون : استفتح لنا ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيأتي ، أذهبوا إلى غيري . فيأتون النبي صلى الله عليه وسلم فيستفتح فيفتح له عليه الصلاة والسلام**) هذه أيضاً خاصة به صلى الله عليه وسلم .

٤- الشفاعة الرابعة الخاصة به أيضاً : أنه يشفع لعمه أبي طالب فيخفف عنه من العذاب بشفاعته عليه الصلاة والسلام فقد ثبت في الصحيحين أن العباس بن عبد المطلب قال يا رسول الله : ما فعلت لأبي طالب فإنه كان يحوطك ويغضب لك قال : (**هو في ضحضاح من نار** – والضحضاح مثل المياه التي تكون في الشوارع بحيث إنك إذا وضعت القدم لا يصل هذا إلى الكعب بحيث أنه لا يمنع مسير الناس إليه – **ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**) هذه الأنواع الأربعة من الشفاعات خاصة بالنبي عليه السلام .

٥- شفاعته صلى الله عليه وسلم لأهل الجنة أن يكونوا في أعلى ما هم عليه من الدرجات أي يشفع لبعض أهل الجنة فترتفع درجته وهذه ليست خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم

٦- شفاعته في أهل الكبائر لمن استحق دخول النار بسبب ذلك ، ألا يدخلها ومن دخلها منهم أن يخرج منها فقد روى البخاري رحمه الله في صحيحه : (**أن قوماً يخرجون من النار بشفاعته عليه الصلاة والسلام يقال لهم الجهنميون**) هؤلاء دخلوا النار فيشفع لهم النبي فيخرجون منها ، بل قال كما روى أبو داود في سننه : (**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**) حديث صحيح ، وفي صحيح مسلم أنه قال : (**لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته وإني خبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة أن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً**) . هذان النوعان للنبي ولغيره صلى الله عليه وسلم ولذا ثبت في الصحيحين أن الله عز وجل يقول : (**شفعت الملائكة** – وهذا يدل على أن الملائكة يشفعون – **وشفع المؤمنون** – وهذا يدل على أن المؤمنين يشفعون – **ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض بيده قبضة فيخرج من النار قوماً لم يعملوا خيراً قط**) وفي مسند أحمد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم**) والحديث صحيح ، وبنو تميم هم أكثر العرب فيخرج بشفاعة رجل من أمة النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من بني تميم وثبت في المسند أيضاً أنه قال : (**ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي كالحيين مضر وربيعة**) أي كمضر الذين منهم قريش وهذيل وكربيعة الذين منهم تميم وعنزه وغيرهم من قبائل العرب كل هؤلاء يشفع فيهم رجل من أمة النبي صلى الله عليه وسلم ، وبهذا نختم الكلام على ما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر وفي الدرس القادم نشرع بما يتعلق بالإيمان بالقضاء والقدر بحول الله وقوته

قال المؤلف رفع الله درجته في الجنة : [وتؤمن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره . والإيمان بالقدر على درجتين كل درجة تتضمن شيئين :

فالدرجة الأولى : الإيمان بأن الله تعالى عليم بالخلق وهم عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف أزلاً وأبداً وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال ، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق فأول ما خلق الله القلم قال له اكتب قال ما أكتب ؟ قال اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فما أصاب الإنسان لم يكن ليخطئه وما أخطاءه لم يكن ليصيبه جفت الأقلام وطويت الصحف كما قال تعالى : ﴿ ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾]

شرع المؤلف هنا رحمه الله بأصل من أصول أهل السنة والجماعة وهو الإيمان بالقضاء والقدر كما تقدم في حديث ابن عمر : (**وأن نؤمن بالقدر خيره وشره**) والقدر من قدرت الشيء قدره قدراً بتسكين الدال وبفتحها : إذا أحطت بمقداره ومنه التقدير وهو الحساب .

وأما القدر في الاصطلاح : أن يؤمن العبد بالعلم السابق والكتابة والمشيئة النافذة وخلقه وإيجاده ، وعلى ذلك فأركان الإيمان بالقضاء والقدر أربعة :

الركن الأول : العلم .

الركن الثاني : الكتابة .

الركن الثالث : المشيئة .

الركن الرابع : الخلق والإيجاد .

هذه هي الأركان إجمالاً ، أما تفصيلاً .

العلم أي أن علم الله محيط بكل شيء لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ونؤمن بأن الله كتب في اللوح المحفوظ ما كان وما سيكون ، ونؤمن ثالثاً بمشيئته النافذة وإن ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن ونؤمن رابعاً بأن الله خالق كل شيء .

إذاً هذه أركان الإيمان بالقضاء والقدر الأربعة .

فمثلاً : إذا أصيب العبد بمصيبة كمرض أو إذا أصيب بنعمة كولد يُرزقه أو مال يُرزقه فيؤمن أن الله عز وجل علم أزلاً أنه سيمرض وعلم أزلاً أنه سيرزق ولداً هذه الآن المرتبة الأولى . المرتبة الثانية أن يؤمن أن هذا قد كتب في اللوح المحفوظ أي كونه سيمرض أو كونه سيرزق فهذا مكتوب في اللوح المحفوظ ، ثالثاً أن يؤمن أن الله شاء ذلك أي شاء أن يرزق له ، شاء أن يولد له ولو لم يشأ الله لم يكن ذلك ، رابعاً أن يؤمن أن الله هو الذي أوجد ذلك وخلقه سبحانه وتعالى .

فإن قيل ما الفرق بين القضاء والقدر ؟

فالجواب : إنهما إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا فإذا قلت القضاء وقلت القدر ففرقت بينهما فإن القضاء يكون بمعنى القدر والعكس بالعكس وأما إذا جمعت بينهما بأن قلت القضاء والقدر ، فالقدر بمعنى التقدير الأزلي وعلى ذلك فيكون فيه المرتبتان مرتبة العلم ومرتبة الكتابة ، وأما القضاء فهو إيجاد الشيء بعد أن شاءه وأراده فيكون فيه المرتبتان الأخريان .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [بالقدر خيره وشره]

الشر لا ينسب إلى الله تعالى وإنما ينسب إلى مفعولاته ومقدراته أي إلى ما قضاه وقدره ولذا قال عليه السلام فيما رواه الإمام مسلم : (**والشر ليس إليك**) وأما جواز كونه ينسب إلى مفعولاته فيستدل له بقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء القنوت:(**وقني شر ما قضيت**) وأيضاً قوله تعالى : ﴿ **وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض** ﴾ يتضح هذا بمثال : إذا حكم الأمير بقتل زنديق أو نحوه فهذا بالنسبة إلى الأمير خير وأما بالنسبة إلى هذا المجرم الزنديق فهو شر .

فمثلاً وجود المعاصي وخلق الله لها ، وجود الكفار ، وجود الفسقة ونحو ذلك مما يبغضه الله ويكرهه ، هو بالنسبة إليهم شر وبالنسبة إلى الله خير لما فيه من الحكم الكثيرة ، الآن لولا وجود المعاصي والكفر لم يحصل ابتلاء العباد ليعلم الصادق من الكاذب ولما حصلت العبادات المتنوعة فالجهاد في سبيل الله هو من أحب الأعمال إلى الله والذي هو ذروة سنام الإسلام إنما كان ووجد بوجود الكفر والكفار ، كذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله لولا وجود الفسقة والفسق لما ظهرت هذه العبادات المتنوعة ، إذا ظهور هذه العبادات المتنوعة هذا من حكم الله بإيجاد الشرور من فسق ومعصية وغير ذلك .

أيضاً : ظهور آثار أسماء الله تعالى كالغفور والرحيم والحليم والودود ونحو ذلك فإن آثار هذه الأسماء تظهر بوجود هذه الشرور ، فإذا أذنب فتاب ظهر اسم الله التواب وكذلك الغفور، إذا رأيت أنه سبحانه كيف يرزق هؤلاء الكفار والفساق رأيت آثار اسم الرحيم كيف يطعمهم ويسقيهم ، أنت ربما لو أن أبنك عصاك لربما منعت عنه الطعام والشراب وهو أبنك

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [أزلاً وأبداً]

أزلاً : أي في القدم ، وأبداً أي في المستقبل .

- **مسألة :**

هل القلم مخلوق قبل العرش أم العرش مخلوق قبل القلم ؟

اختلف أهل العلم على قولين :

١- أصحهما وهو قول جمهور السلف وهو اختيار ابن تيميه وابن القيم أن العرش مخلوق أولاً قال ابن القيم في نونيته :

والناس مختلفون في القلم الذي ... كتب القضاء به من الديان
هل كان قبل العرش أو هو بعده ... قولان عند أبي العلا الهمداني
والحق أن العرش قبلُ لأنه ... قبل الكتابة كان ذا أركان

ويدل عليه ما ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**كان الله ولم يكن شيء قبله ، وكان عرشه على الماء ثم كتب في اللوح مقادير كل شيء**) فأتى بثم التي تفيد الترتيب وفي صحيح مسلم أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : (**إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء**) .

فإن قيل فما الجواب عن الحديث الذي أورده المؤلف رحمه الله ؟

فالجواب إن القلم ضُبط بالنصب وضُبط بالضم

أما على رواية الرفع فالمراد أول ما خلق الله مما له اتصال بالخلق الذي نشاهده من السماء والأرض والأنس والجن والدواب ولذا قال : (**أكتب مقادير كل شيء إلى يوم القيامة**) فدل هذا على أن له ارتباط بالتكليف يعني بالمكلفين لأن خلق الله لا ينتهي إلى يوم القيامة .

إذاً قوله (**إلى يوم القيامة**) قرينة تدل على أن المراد ما له اتصال بالمكلفين من سماء وأرض وغيرها ولذا فإن السماء تطوى والنجوم تتناثر إذا كان يوم القيامة .

وأما على رواية النصب فإن المعنى يكون : أن أول خلق الله للقلم أمره بكذا كما لو قلت أول ما اشتريت السيارة سافرت بها إلى مكة ، فأول ما خلق الله القلم أمره بالكتابة وعلى ذلك فالصواب إن العرش مخلوق قبل والله سبحانه وتعالى لا يزال خلاقاً فعالاً لما يريد .

ونحن لا نقول : أن أول المخلوقات العرش لكن نقول العرش خُلق قبل القلم .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [جفت الأقلام وطويت الصحف]

ولذا ثبت في البخاري قوله عليه السلام : (**جف القلم بما أنت لاق**) وقال فيما رواه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : (**يا غلام أني أعلمك كلمات – الحديث – وفيه جفت الأقلام ورفعت الصحف**) وهذا ما ذكره المؤلف هنا .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وقال تعالى : ﴿ ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير ﴾ وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلاً فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء ، وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات فيقال له أكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ونحو ذلك فهذا التقدير قد كان ينكره غلاة القدرية قديما ومنكروه اليوم قليل]

يعني مرتبة العلم والكتابة كان ينكرها القدرية الغلاة الذين يقولون أن الأمر أُنف فهؤلاء كفار عند السلف لكن هؤلاء اندثروا وأما القدرية الذين هم المعتزلة فهم منكروا المرتبة الثانية والتي تشمل المشيئة والخلق (الإيجاد) .

ولذا قال الشافعي : (خاصموهم بالعلم (المرتبة الأولى) فإن أنكروه فقد كفروا وأن أقروا به فقد خُصموا) أي قولوا لهم هل الله يعلم أم لا ؟ فإن أنكروا علم الله فقد كفروا وإن أقروا به فقد خصموا .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ....]

الأمر بأربع كلمات هذا هو التقدير العمري المنسوب إلى العمر وهناك تقدير عام وهو التقدير في اللوح المحفوظ وهناك تقدير سنوي وهو في ليلة القدر كما قال تعالى : ﴿ **فيها يفرق كل أمر حكيم** ﴾ .

- **إشكال :**

قد يشكل على بعض الناس ما ثبت في الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه**) وقوله صلى الله عليه وسلم : (**لا يرد القدر إلا الدعاء**) رواه الترمذي وغيره وهو حديث حسن فما الجواب عن هذا ؟

الجواب أن نقول : أن اللوح المحفوظ لا يحصل فيه تغيير ولا تبديل ولا زيادة رزق ولا نقصه ، وأما الصحف التي بأيدي الملائكة فهي التي يحصل بها التغيير ﴿ **يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب** ﴾ فالمحو والإثبات يكون في صحف الملائكة فهنا يكون في صحف الملائكة أن كان فلان واصلاً لرحمه فأطيلوا في عمره وأبسطوا له في الرزق وإن لم يكن كذلك فلا يبسط له في رزقه ولا يطال له في عمره يعني يبقى على تقدير آخر فيقال مثلاً فلان عمره ستون سنة فإن وصل رحمه فإن عمره يكون مثلاً ثمانين سنة هذا يكون في الكتب التي بأيدي الملائكة وأما اللوح المحفوظ ففيه ما يستقر عليه الأمر ، لكن هنا يكون قد علم الله أزلاً إن هذا الرجل يصل رحمه فأمد الله له في عمره لعلمه سبحانه أنه سيصل رحمه، ورفع عنه القضاء لعلمه سبحانه أنه سيدعوه لرفع القضاء عنه أو لتخفيفه عنه .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : [وأما الدرجة الثانية فهي مشيئة الله النافذة وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وإنه ما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله سبحانه لا يكون في ملكه ما لا يريد . وأنه سبحانه على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات ، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه لا خالق غيره ولا رب سواه ، ومع ذلك

فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله ونهاهم عن معصيته ، وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا يحب الكافرين ولا يرضى عن القوم الفاسقين ولا يأمر بالفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر ولا يحب الفساد]

تقدم الكلام عن المرتبتين الأوليين وهنا شرع في بيان المرتبة الثالثة وهي مرتبة المشيئة وهي أن يؤمن العبد بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن قال تعالى : ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾ .

والعبد له مشيئة وله اختيار وله قدرة لكن هذه المشيئة وهذه القدرة وهذا الاختيار تحت مشيئة الله سبحانه وتعالى قال تعالى : ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين** ﴾ فالله تعالى خلق العبد جسمه وروحه وأفعاله وصفاته وخلق فيه مشيئةً واختياراً بحيث أنه يفعل بمشيئة ويترك بمشيئة أي فللعبد مشيئة واختيار .

قال ابن تيمية رحمه الله :

ومن أعجب الأشياء خلق مشيئة   بها كان مُختار الهُدى والضلالة

قال تعالى : ﴿ **ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون** ﴾ فالعبد كان يختار لكنه قد يُحال بينه وبين اختياره أن أعرض عن الحق ونضرب على هذا مثالين يتضح بهما المراد :

المثال الأول : أُعطي رجل فرساً قوية وقيل له سر من هذا الطريق فهذا الطريق يوصلك إلى مرادك ، فركبها وهو مالك لها ممسك بزمامها أن وجهها إلى الطريق الذي حُدد له فإنه يصل لكنه صرفها عن الطريق يمنة أو يسرة فانطلقت به إلى طريق آخر فهو الآن يريد أن يعيدها لكنه لا يستطيع لقوتها وهكذا النفس فأنت تختار ولك مشيئة لكن العبد إذا وقع في المعاصي وأُشرب قلبه – والعياذ بالله – المعصية فإنه قد لا يتمكن إلا أن يلطف الله به فيترك المعصية .

المثال الثاني : العشق أو حب النساء أوله اختيار يكرر النظرة إلى هذه المرأة باختياره فيستطيع أن يمنع نفسه في هذه المرحلة ، لكنه أخذ يكرر النظر ، يشخص البصر ثم انتقل إلى المرحلة الثانية مرحلة الاضطرار تمكن حبها من قلبه وأُشرب قلبه حبها فأصبح الآن مضطراً يجد نفسه مضطراً إلى رؤيتها ومجالستها ثم يتحول بعد ذلك إلى عذاب .

فأوله اختيار ووسطه اضطرار وآخره عذاب .

فالله سبحانه أرشد عباده وبين لهم طريق الحق : ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ وقال : ﴿ **فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى** ﴾ فلما تمكنت الضلالة من قبولهم لم يستطيعوا أن يهتدوا وأن يتركوا ما هم

عليه من الضلالة – والعياذ بالله – ولذا قال الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحيكم ....** ﴾ .

وأما المرتبة الرابعة – الثانية في هذه الدرجة – فهي مرتبة الخلق والإيجاد فالله سبحانه خالق شيء ويدخل في ذلك أفعال العباد خيرها وشرها فهي مخلوقة لله سبحانه قال تعالى : ﴿ **والله خلقكم وما تعملون** ﴾ وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه البخاري في كتاب أفعال العباد – خلق أفعال العباد – : (**إن الله صانع كل صانع وصنعته**) .

إذاً هاتان مرتبتان المرتبة الأولى : مرتبة المشيئة ضل بها الجبرية فقالوا : أن العبد مجبور على عمله لا مشيئة له ولا اختيار حركته كحركة المرتعش فإن المرتعش لا يملك منع نفسه من الحركة غير الإرادية ، وكالريشة في الهواء فإنه يقلبها الهواء هاهنا وهاهنا ولا مشيئة لها ولا اختيار وهذا القول فيه إفساد للأمر والنهي وإفساد للثواب والعقاب وذلك لأن العبد إذا دخل في قلبه هذا الاعتقاد الفاسد فإنه يترك العمل لأنه يرى أنه مجبور على المعاصي وهذا قول فاسد أعظم فساداً من فساد قول القدرية الذي سيأتي ذكره ، وهو أن العباد خالقون لأفعالهم – مثل الطاعة أو فعل المعصية – فعندهم أن العباد لهم مشيئة مستقلة .

قال المؤلف رحمه الله : [والعباد فاعلون حقيقة والله خلق أفعالهم والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة والله خالقهم وإرادتهم كما قال تعالى : ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي صلى الله عليه وسلم مجوس هذه الأمة]

هذا الحديث رواه أبو داود في سننه عن ابن عمر وله طرق وقد حسنه بعض أهل العلم والصواب وقف على ابن عمر وفيه : (**القدرية مجوس هذه الأمة إذا مرضوا فلا تعودهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم**) .

قال : [ويغلوا فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره]

هؤلاء هم الجبرية الذين يسلبون العبد قدرته ومشيئته .

قال : [ويُخرجون عن أفعال الله وأحكامه حِكمها ومصالحها]

أفعال الله تعالى مشتملة على الحكم والمصالح وهؤلاء اللذين يقولون إن العبد مجبور يسلبون عنه سبحانه وتعالى حكمته ، لو كان العبد مجبوراً فما الفائدة من إرسال الرسل ؟ وما الفائدة من إنزال الكتب ؟ لا فائدة من ذلك لأن العبد عندهم مجبور على فعله وعلى ذلك فلا حكمة لإيجاده ما دام أنه مجبور ، ما الحكمة إذن من خلق الجنة وخلق النار ؟ وابتلاء العباد واختبارهم وغير ذلك من الشرائع كل ذلك عند

هؤلاء الضالين المنحرفين لا حكمة فيه والعياذ بالله . وانظر كما تقدم الحديث في الصحيحين حينما بقي في النار فضل وتقول هل من مزيد ؟ حتى يضع فيها رب العزة قدمه فتقول : قطٍ قطٍ . فلا يضع رب العزة في هذا الفضل خلقاً ، قال ولا يزال في الجنة فضل فينشئ الله خلقاً فيدخلهم فضل جنته ، فهنا الله سبحانه وتعالى لعدله لم ينشئ خلقاً لفضل النار وأنشأ خلقاً لفضل الجنة فضلاً منه ورحمة .

وعلى هذا فلا يصح قول الأشاعرة إن العبد قد يُعذب بلا ذنب فنقول لا ، إن الله لا يُعذب إلا بالذنب وما ربك بظلام للعبيد سبحانه وتعالى .

ونختم الكلام على باب القدر بمسألة وهي :

هل يجب الرضا بالقضاء أم لا ؟ فقد ثبت في سنن النسائي وغيره : (**وأسألك الرضا بعد القضاء**) ؟

عندنا صبر وعندنا رضا ، فالصبر هو ترك التسخط فالصبر على القضاء واجب ، وعندنا رضا على القضاء أي على المقضي إن كان المقضي معصية فإن العبد لا يرضى به ولا يحبه ويبغضه لأن الله يبغض المعاصي والعبد يبغضها ، وإن كان المقضي مصيبة مثل مصيبة الفقر أو المرض فما حكم الرضا بالقضاء ؟

الجواب : هو مستحب وليس بواجب وهو اختيار شيخ الإسلام رحمه الله وإن كان في المسألة قولان : إنه واجب ، وقيل إنه مستحب وهو أصح القولين .

ومعنى استحباب الرضا على القضاء أن نفسك تسكن للمقضي وصدرك ينشرح وإن كنت تتمنى زوال المصيبة .

فمثلاً رجلاً مرض نقول يجب عليك أن تصبر فلا تتسخط ويُستحب لك أن ترضى يعني أن تسكن نفسك وينشرح صدرك ولا تكون قلقاً ضيق الصدر فإن قال : هل طلبي للعلاج وذهابي إلى المستشفيات هل ينافي هذا الرضاء ؟ فنقول لا ، لا ينافي هذا الرضاء .

قال صاحب السفارينية :

وليس واجباً على العبدُ الرضا   بكل ما مقضي ولكن بالقضا
فإنه من فعله تعالى   وذاك من فعل الذي تقال

إذاً القضاء الذي هو فعل الله هذا يجب الرضا فيه أما القضاء الذي بمعنى المقضي – ما تقدم شرحه – فهذا يستحب الرضا به .

- وهنا مسألة أخرى :

أن الله تعالى يقضي ما يشاء بأسباب فمثلاً إذا قُضي على العبد بالقتل فنقول : إن فلاناً قُدر موته بسبب وهو إزهاق نفسه بالقتل فكُتِب أن فلاناً يقتل فلاناً ، لكن هل يقال : لو لم يقتله لمات ؟ بعض الناس يقول نعم ، لو تأخر لحظة لخَّر ميتاً وهذا قول باطل مخالف لقول أهل السنة ، نقول : قُدِّر عليه أن يموت بهذا السبب ولو لم يُقَّدر عليه ذلك فجائز أن يحيا وجائز أن يموت بسبب آخر .

- الاحتجاج بالقضاء والقدر إنما يكون على المصائب لا على المعايب ، فليس للعبد أن يحتج على معصيته بالقضاء والقدر وهذا من فعل المشركين كما قال تعالى : ﴿ **وقالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء** ﴾ فهؤلاء احتجوا على معاصيهم بالقضاء والقدر ، وأما الاحتجاج بالقدر على المصائب فهذا يدل عليه قوله صلى الله عليه وسلم : (**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شيء فقل : قدّر الله وما شاء فعل**) فالمؤمن لا يحتج بالقضاء والقدر على معايبه وعلى معاصيه وإنما يحتج على المصائب .

قال شيخ الإسلام رحمه الله : [ومن أصول أهل السنة والجماعة أن الدين والإيمان قول وعمل قول القلب واللسان ، وعمل القلب واللسان والجوارح ، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية]

شرح شيخ الإسلام رحمه الله في ذكر أصل من أصول أهل السنة وهو الإيمان ، والإيمان في اللغة : مشتق من الأمن وعلى ذلك : (فهو التصديق عن غيب) وهو أخص من التصديق مطلقاً ، فالذي يخبرك عن غيب وهو صادق تقول آمنت لك أي آمنت أنت يكون خبرك كاذباً ، لكن لو أخبرك شخص عن شيء رأيته فتقول له : صدقتك ، لا آمنت لك ، لأنك رأيته بعينك .

وأما الإيمان في اصطلاح أهل السنة والجماعة : فهو اعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالجوارح ، فعلى ذلك فللإيمان ثلاثة أركان :

١- **اعتقاد القلب** : فيدخل في ذلك إقرار القلب وتصديقه ، ويدخل في ذلك انقياده ومحبته أيضاً .
المرجئة المتكلمون عندهم الإيمان : تصديق القلب فقط وعلى ذلك فلو لم ينطق اللسان بالشهادتين فهو مؤمن عندهم .

٢- النطق باللسان : بأن يُقَّر بالشهادتين فينطق بهما ويدخل في ذلك ما يحبه الله من الأقوال ، من تسبيح وتحميد وتلاوة للقرآن وغير ذلك .

٣- عمل الجوارح : فالعمل ركن في الإيمان وجزء منه كما أن الركوع من الصلاة وركن فيها ، والجوارح عملها يُصدق إيمان القلب فالذي لا عمل له لا إيمان له .

وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله أن في الكتاب والسنة من نفي الإيمان عن تارك العمل مواضع كثيرة من ذلك قوله تعالى : ﴿ **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة** ﴾ فرتب لدخول الجنة الإيمان والعمل الصالح ، وقال تعالى : ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾ وقال : ﴿ **قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين** ﴾ والتولي هو ترك العمل ولذا قال تعالى : ﴿ **فلا صدق ولا صلى ، ولكن كذب وتولى** ﴾ فجعل التكذيب مقابلاً للتصديق ، وجعل ترك الصلاة فقابلاً للتولي فعلى ذلك جعل الذي لا يصلي قد تولى . وقال أيضاً : ﴿ **ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين** ﴾ فيتولون عن الطاعة ، وقال الإمام الشافعي رحمه الله : (الإيمان قول وقصد وعمل لا يجزئ واحد منها دون الآخر) وحكى الإجماع على ذلك .

وذكر ابن رجب رحمه الله في فتح الباري شرح صحيح البخاري له أي غير فتح الباري لابن حجر ، فأيضاً ابن رجب شرح البخاري واسم كتابه : " فتح الباري شرح صحيح البخار ي " ذكر عن إسحاق فيما رواه حرب عنه قال : قالت المرجئة حتى كان من قولهم: إن من لم يصلِ ويصوم ويتصدق ويحج وترك الفرائض وهو مُقر قال : فإنه لا يكفر ، قال فهؤلاء الذين لا شك فيهم أي أنهم مرجئة .

إذاً القول بأن العمل خارج عن مسمى الإيمان وأنه ليس بركن فيه ولا جزء هذا إرجاء .

وعلى ذلك فالذي يقول هو شرط كمال نقول هو كذلك إرجاء لأن الشرط خارج عن مسمى الشيء أوضح هذا بأمثلة :

شروط الصلاة خارجة عن الصلاة وأركانها داخلة فيها ، وهكذا شروط الحج فهي خارجة أيضاً عن الحج لكن أركان الحج وفروضه داخلة فيه ، هل يصح أن يقول الشخص : الصلاة ركوع وسجود ووضوء ؟

فلا يصح أن يقول هذا لأن الوضوء خارج عن مسمى الصلاة .

إذاً قول السلف : الإيمان قصد وعمل وقول ماذا تفهم من ذلك : أنها أركان وأجزاء أم أنها شروط ؟ نفهم أنها أجزاء وأركان وليست شروطاً .

إذاً لا يصح أن يُقال أن العمل شرط في الإيمان ، لا شرط صحة ولا شرط كمال . ثم إن مذهب جمهور السلف كمال قال ابن كثير الشافعي وهو إجماع السلف أيضاً كما قال إسحاق بن راهوية وابن حزم الظاهري أنه إجماع الصحابة : أن تارك الصلاة كافر لا حظ له في الإسلام ، أما الذين يقولون إن تارك الصلاة لا يكفر كما هو قول بعض الفقهاء: فإنهم يقولون لبد من عمل يصدق إيمانه ، فإيمان بلا عمل ليس

بإيمان صحيح ، والإيمان يزيد بالطاعة قال تعالى : **﴿ ويزداد الذين آمنوا إيمانا ﴾** وقال : **﴿ وزدناهم هدى ﴾** وقال : **﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادهم إيماناً ﴾** وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو داود : (**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً**) فالإيمان يزيد والناس ليسوا في درجة واحدة فيه فكلما ازدادت طاعتك ازداد إيمانك وكلما عصيت الله كلما نقص إيمانك .

قال : [وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر كما يفعله الخوارج]

وأهل القبلة هم الذين يصلون وينتسبون إلى هذه الأمة قال صلى الله عليه وسلم : فيما رواه البخاري وغيره : (**من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذاكم المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله**) فهم لا يكفرون أهل القبلة والذين يصلون من سائر الفرق بالمعاصي كالزنا وشرب الخمر ، وأما مباني الإسلام العظام ففيها نزاعاً مشهوراً كما قال شيخ الإسلام ، فأهل السنة لا يكفرون بالذنوب ما دون الشرك ، فمباني الإسلام الخمسة من أهل السنة من يكفر بترك الحج أو تارك الحج ومنهم من يكفر تارك الزكاة وتارك الصلاة .

قال : [بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي]

فالأخوة الدينية ثابتة وإن كان فاجراً فهي لا تنتفي مع المعاصي وإن كبرت ، وإنما تنتفي بالكفر ، لكن ولاؤك للمسلم بقدر إيمانه وطاعته .

قال : [ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية ولا يخلدونه في النار كما تقوله المعتزلة بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالى : ﴿ فتحرير رقبة مؤمنة ﴾]

الإيمان عند أهل السنة والجماعة يزيد وينقص ويتبعض فهناك من له الإيمان التام وهناك من له مطلق الإيمان يعني يصدق عليه أنه مؤمن لكنه فاسق وهناك من المؤمنين من له الإيمان التام .

أما الخوارج والمعتزلة والمرجئة فعندهم الإيمان لا يتبعض فتمسك المرجئة بأحاديث الوعد لا بأحاديث الوعيد، فأحاديث الوعد كمثل حديث : (من قال لا إله إلا الله دخل الجنة) **ونحو ذلك قالوا هذه تدل على أن هؤلاء مؤمنون كاملوا الإيمان لأن الإيمان التام وعلى ذلك عند المرجئة الفاسق والصالح عندهم إيمانهم واحد لا فرق فإيمانك وإيمان أبي بكر على درجة واحدة .**

الخوارج أيضاً عنهم الإيمان لا يتبعض فتمسكوا بأحاديث الوعيد كحديث : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ......) **وعلى ذلك وإن الإيمان لا يتبعض فهم لا إيمان لهم فهم كفار فعندهم الفاسق كافر ، والزاني كافر وهكذا ، فهو كافر في الدنيا خالد مخلد في النار في الآخرة في النار إن لم يتب**

والمعتزلة وافقوهم أنه في الآخرة في نار جهنم خالداً مخلداً فيها لكن في الدنيا هو في منزلة بين المنزلتين بين منزلة الإيمان ومنزلة الكفر ، إذاً منشأ الضلالة عند الطائفتين أن الإيمان لا يتبعض أما أهل السنة فقالوا : مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته (له مطلق الإيمان وليس له الإيمان المطلق) مثال توضيحي : رجل راتبه مثلاً أربعة آلاف ريال يكفيه هو وأهله وليس عليه ديون إذا انتهى الشهر فقد انتهى راتبه فهو كفاية هذا غني لكن له مطلق الغنى لا الغنى المطلق (التام) بخلاف من له مال كثير وصاحب تجارات فهذا له الغنى المطلق .

فهؤلاء الفسقة لهم مطلق الإيمان أي عندهم أصل الإيمان لا الإيمان المطلق .

فقوله عليه السلام : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) **أي كامل الإيمان بل هو ناقص الإيمان .**

قال : [وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى : ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾ وقوله عليه السلام : (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن .....) ويقولون هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته]

هذا كله للفاسق الملي والملي نسبة إلى هذه الملة .

قال أثابه الله : [فلا يعطى الاسم المطلق ولا يسلب مطلق الاسم]

فنقول ليس بالمؤمن : أي المؤمن التام الإيمان لكن لا نقول ليس بمؤمن بل هو مؤمن ناقص الإيمان.

قال : [ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وصفهم الله به في قوله تعالى : ﴿ والذين جاءو من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله :(لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفَه]

شرع المؤلف رحمه الله تعالى بذكر أصل من أصول أهل السنة والجماعة وهو : الإقرار والإيمان بفضائل أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وهذا الأصل ضلت فيه طائفة الرافضة الذين يسبون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، يرموهم عامتهم بالكفر والفسق ويقولون أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا عن الإسلام إلا نفراً يسيراً وهذا كفر أكبر .

فالذي يسب الصحابة سباً متضمناً لتكفير عامتهم أو تفسيق عامتهم فهذا كفر أكبر ، و لذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية – فيمن قال إن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا إلا نفراً يسيراً – قال : (فهذا كافر بل كفر مَنْ شك في كفره متعين) أ . هـ . وذلك لأن هذا يتضمن تكذيب الكتاب والسنة ، حيث إن مناقبهم وفضائلهم مذكورة في الكتاب ومتواترة في السنة النبوية ، وقد أجمعت الأمة على ذلك – فهذا السب يتضمن تكذيب الكتاب والسنة . يقول الله تعالى : **﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾** ويقول سبحانه : **﴿ للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم .... ﴾** الآية وهي في الأنصار والتي قبلها وهي قوله سبحانه : **﴿ للفقراء المهاجرين ﴾** هي في المهاجرين وقال صلى الله عليه وسلم – فيما رواه الترمذي وغيره-: (**اللهَ اللهَ في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله يوشك الله أن يأخذه**) وقال عليه الصلاة والسلام – فيما ثبت في الصحيحين - : (**لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو انفق أحدكم مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**) .

والأحاديث النبوية في فضائلهم – رضوان الله عليهم – كثيرة متواترة في السنة النبوية – فالذي يسب عامتهم تكفيراً أو تفسيقاً فهو كافر بالله العلي العظيم لا حظ له في دين الإسلام ولذا أخرجهم الأئمة كابن المبارك وغيره من الاثنين والسبعين فرقة في قوله عليه الصلاة والسلام : (**وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة**) فقالوا : ١- الرافضة والجهمية ليسوا من هذه الفرق الاثنين والسبعين .

كما أن سب الصحابة رضوان الله عليهم متضمن لرد النقل كله ، لأنهم هم نَقَلة الكتاب إلينا وهم نقلة السنة ، فحينئذ لا يوثق بالكتاب ولا بالسنة والعياذ بالله .

قال : [ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم ويفضلون من أنفق من قبل الفتح – وهو صلح الحديبية – وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل]

لأن الله عز وجل يقول : **﴿ لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ﴾** والفتح هنا هو صلح الحديبية ، ولذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (**لا تسبوا أصحابي**) الحديث وقد قاله لخالد بن الوليد رضي الله عنه وكان قد أسلم بعد الفتح لما وقع بينه وبين

عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه فإذا كان هذا يقال في مُسلمة ما بعد الفتح فكيف بالذي يسب الصحابة وليس منهم .

قال : [ويقدمون المهاجرين على الأنصار]

وهذا التقديم تقديم جنس على جنس لا تقديم فرد على فرد فإن في الأنصار ، كسعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة وأبي أيوب الأنصاري ومعاذ بن جبل وغيرهم من هو أفضل من بعض المهاجرين .

والدليل على تفضيل المهاجرين على الأنصار :

أن الله قدمهم في الذكر فقال : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار** ﴾ وفي قوله تعالى : ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم** ﴾ **إلى قوله** : ﴿ **والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم** ﴾ وهم الأنصار فقدم المهاجرين على الأنصار .

وقال عليه الصلاة والسلام – في الأنصار - : (**لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق**) متفق عليه .

قال : [ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)]

الحديث متفق عليه .

وفيه فضيلة أهل بدر وإنهم أفضل الصحابة .

وقد روى البخاري في صحيحه أن جبريل قال للنبي صلى الله عليه وسلم : (كيف تعدون أهل بدر فيكم ؟ فقال: (من أفضل المسلمين) فقال جبريل : (وكذلك نعد من شهد بدراً من الملائكة) .

وقال عليه الصلاة والسلام : (لا يدخل النار أحد شهد بدراً والحديبية) **رواه الإمام أحمد في مسنده .**

قال المؤلف رحمه الله : [وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه]

رواه الإمام مسلم في صحيحه .

وقد قال تعالى : ﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة ﴾ .

قال المؤلف رحمه الله : [وكانوا أكثر من ألفٍ وأربعمائة]

كما في البخاري من حديث جابر .

قال المؤلف رحمه الله : [ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم كالعشرة وثابت بن قيس بن شَمَّاس وغيرهم من الصحابة]

فأهل السنة يشهدون لمن شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة كالعشرة وهم أفضل الصحابة ، فقد قال عليه الصلاة والسلام – فيما رواه أحمد والترمذي : (أبو بكر في الجنة وعمر في الجنة ، وعثمان في الجنة ، وعلي في الجنة ، وطلحة في الجنة ، والزبير في الجنة ، وسعد في الجنة ، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة ، وأبو عبيدة عامر بن الجراح في الجنة) .

وثبت في البخاري أن ثابت بن قيس من أهل الجنة . وصح أيضاً أن الحسن والحسين هما سيدا شباب أهل الجنة ، وأن فاطمة سيدة نساء الجنة .

وكذلك عُكّاشة بن مِحْصن شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنة – كما في الصحيحين – فنشهد بالجنة على التعيين لمن شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال المؤلف رحمه الله : [ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي رضي الله عنهم . كما دلت عليه الآثار وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة مع أن بعض أهل السنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر أيهما أفضل فقدم قوم عثمان وسكتوا وربعوا بعلي وقدم قوم عليا وقوم توقفوا لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان ثم علي . وإن كانت هذه المسألة – مسألة عثمان وعلي – ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة – لكن التي يضلل فيها مسألة الخلافة . وذلك لأنهم يؤمنون أن الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي . ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله]

كان علي رضي الله عنه يقول على المنبر ما ذكره الشيخ رحمه من أن أفضل هذه الأمة أبو بكر ثم عمر ثم عثمان – ثبت ذلك عنه بنحو ثمانين وجهاً .

وروى البخاري في صحيحه عن ابن عمر قال : (كنا لا نعدل في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بأبي بكر أحداً ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلا نفضل بينهم)

ورواه الطبراني وزاد : (يبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فلا ينكره) **وفي سنن النسائي** : (وأما علي فلا تسأل عنه وأسأل عن مترلته من النبي صلى الله عليه وسلم) .

إذن : الصحابة كانوا يفضلون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم أجمعين .

واستقر أمر أهل السنة والجماعة على التربيع بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه . وكان بعض السلف يفضل علياً على عثمان .

وكان بعضهم : لا يربع بعلي ، بل يقول : أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم يسكت واستقر مذهب أهل السنة والجماعة على التربيع بعلي .

ومسألة تفضيل علي على عثمان ليست من المسائل التي يضلل بها المخالف – هذا إذا كان من جهة الفضل أما إذا كان من جهة الخلافة وأن علياً كان أولى بالخلافة من عثمان فهذه المسألة يضلل بها المخالف .

قال أيوب السجستاني وأحمد بن حنبل والدار قطني : (من فضل علياً على عثمان – أي في الخلافة – فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار) أي انتقص المهاجرين والأنصار ، وذلك لأنهم هم الذين اختاروا عثمان قبل علي في الخلافة .

ولذا قال عبد الرحمن بن عوف – كما في البخاري – : (رأيت الناس لا يعدلون بعثمان أحداً) .

وأما تفضيل علي على أبي بكر وعمر – رضي الله عن الجميع – فهذه من المسائل التي يضلل بها المخالف .

قال الإمام أحمد : (من فضل علياً على أبي بكر وعمر بالفضل لا بالنسب فهو رافضي مبتدع ضال) .

إذن : الذي يقدم علياً على أبي بكر وعمر هذا مبتدع ضال .

والذي يقول علي أولى بالخلافة من عثمان فهو مبتدع ضال . وأما الذي يقدمه بالفضل على عثمان فقط فهذه قال بها بعض السلف ثم رجع عنها ، واستقر مذهب أهل السنة والجماعة على التربيع بعلي رضي الله عنهم أجمعين .

قال المؤلف رحمه الله : [ويحبون آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال يوم غدير خُمَّ : (أذكركم الله في أهل بيتي)]

رواه مسلم قالها ثلاثاً .

" غدير خمَّ " غدير بين مكة والمدينة .

وفي البخاري أن أبا بكر رضي الله عنه قال : (ارقبوا محمداً صلى الله عليه وسلم في أهل بيته) أي احفظوا حقه في أهل بيته .

قال المؤلف رحمه الله : [وقال أيضاً للعباس عمه وقد اشتكى إليه أن بعض قريش يجفو بني هاشم فقال : (والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي)]

الحديث رواه الترمذي وهو حديث صحيح .

قال المؤلف رحمه الله : [وقال : (إن الله اصطفى بني إسماعيل واصطفى من بني إسماعيل كنانة واصطفى من كنانة قريشا واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم)]

الحديث رواه مسلم .

فأهل السنة والجماعة يحبون آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ويحفظون وصية النبي صلى الله عليه وسلم فيهم .

قال المؤلف رحمه الله : [ويتولون أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين . ويؤمنون بأهن أزواجه في الآخرة خصوصا خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده وأول من آمن به وعاضده على أمره وكان لها منه المترلة العالية . والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم : (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)]

الحديث متفق عليه .

فأهل السنة يحبون أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن . قال تعالى : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾ ويؤمنون بأهن أزواجه في الجنة ، ولذا قال عمار رضي الله عنه : (والله إني لأعلم أنها – أي عائشة – زوجه في الجنة لكن الله ابتلاكم بها لتتبعوه أو إياها) رواه البخاري، وقد قال ذلك يوم الجمل وقال صلى الله عليه وسلم في عائشة : (فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام) متفق عليه ، والثريد هو أفضل الطعام .

واختلف أيهما أفضل خديجة أم عائشة ؟

والذي يترجح أن لكلٍ منهما مزية ، فخديجة رضي الله عنها في أول الإسلام كان لها أعظم المناقب وأعظم الفضائل في مؤازرة نبينا عليه الصلاة والسلام ، وهي أم أولاده .

وأما عائشة رضي الله عنها : فلها الفضل في العلم فإنها من حفظة الآثار التي حفظت لنا ديننا فيما يحدث به النبي صلى الله عليه وسلم في بيته .

فعائشة في العلم وخديجة في أول الإسلام لما لها من المؤازرة للنبي صلى الله عليه وسلم

وعلى ذلك : فلا نقول هذه أفضل من تلك ، بل نقول : لكل منهما فضيلتها .

ولما سئل عليه الصلاة والسلام : (أي الناس أحب إليك ؟ قال عائشة قيل : فمن الرجال قال : أبوها) متفق عليه .

قال الإمام أحمد : (من شتم أبا بكر وعمر وعائشة فما أراه على الإسلام) أ . هـ .

فكيف بالذي يرميها بما برأها الله منه ، هذا لا حظ له – والعياذ بالله – من الإسلام فالله عز وجل يبرؤها من فوق سبع سموات وهؤلاء يرمونها بما برأها الله منه .

قال المؤلف رحمه الله : [ويتبرأون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل]

النواصب يؤذون ويسبون أهل البيت ، وقد ظهروا في الدولة الأموية وأما الرافضة فإنهم يسبون أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويغلون في أهل البيت .

وأما أهل السنة والجماعة فهم الذين ذكرهم الله بقوله : ﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك غفور رحيم ﴾

قال المؤلف رحمه الله : [ويمسكون عما شجر بين الصحابة . ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب . ومنا ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه . والصحيح منه عما فيه معذرون إما مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون]

أهل السنة يقولون : إن ما ورد في بعض كتب التاريخ مما فيه ذكر بعض مساوئ الصحابة ، منه ما هو كذب وهو الأكثر ، أو زيد فيه أو نقص حتى تغير عن جهته .

وهناك ما هو صحيح وهذا هم فيه معذورون ، وهم إما مصيبون فلهم أجران ، وإن كانوا مخطئين فلهم أجر واحد .

قال عليه الصلاة والسلام : (إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران ، وإن اجتهد فأخطأ فله أجر واحد) رواه البخاري .

فما كان من تلك الأخبار صحيحاً فنقول إنهم ليسوا بمعصومين بل يخطئون ويصيبون ، لكن لهم من الفضائل والحسنات ما يكفر الله به خطاياهم .

ثم إن المجتهد له أجران إن أصاب ، وإن أخطأ فله أجر .

وعامة ما يذكر من تلك الأخبار هو فيما حصل من القتال بين أمير المؤمنين الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وبين خير ملوك المسلمين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه ، الذي دعا له النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (اللهم علم معاوية الكتاب والحساب وقيه سوء العذاب) رواه الإمام أحمد وغيره وهو حديث حسن

فعامة ما يتكلم به هؤلاء هو فيما وقع من القتال بين الطائفتين .

والمصيب فيهما له أجران ، والمخطئ له أجر واحد . وإن كانت أولى الطائفتين بالحق طائفة علي رضي الله عنه ولذا قال ﷺ : (ويح عمار تقتله الفئة الباغية) متفق عليه وقال ﷺ – في الخوارج : (تقتلهم أولى الطائفتين بالحق) والذي قاتل الخوارج هو علي بن أبي طالب وطائفته .

ولم يشارك في هذه الفتنة إلا نفر يسير من الصحابة ، وهم لا يصلون إلا مائة من الصحابة ؛ وذلك لأنه قتال فتنة .

فإن قال قائل : إذا كانت أولى الطائفتين بالحق هي طائفة علي فلماذا لم يقاتل عامة الصحابة مع علي رضي الله عنهم أجمعين ؟

والجواب : أن الله يقول في كتابه الكريم : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت .... ﴾ فقد أمر الله عز وجل بقتال الطائفة الباغية إذا كان القتال يحصل به فيء من الطائفة التي بغت .

وأما إن لم يحصل به فيء إلى الحق بأن تكون الطائفة الأخرى طائفة قوية ، أو تكون الطائفة التي هي أولى بالحق عندها عجز أو ضعف ، فليس هذا القتال مأموراً به ، وهو قتال فتنة ولذا عامة الصحابة لم يشتركوا في القتال بل انشغلوا في العبادة وإنما شارك في القتال بعض النفر اليسير من الصحابة الذين ترجحت لهم مصلحة القتال .

وكان مع علي رضي الله عنه أهل العراق وهم أهل شقاق وكان مع معاوية رضي الله عنه أهل الشام وهم أهل سمع وطاعة وكان معاوية رضي الله عنه لا يرى أنه أولى بالخلافة من علي رضي الله عنه ولكن كان يقاتل من أجل أن يقتل قتلة عثمان رضي الله عنه فإن قتلة عثمان انضموا إلى طائفة علي ولم يكن علي يستطيع أن يسلمهم إلى معاوية ، ولا أن يقيم عليهم حد الله عز وجل لقوتهم ، فحدثت الفتنة ، ولم يكن هو ولا معاوية محبين للقتال ، وإنما كان هناك طائفة في الطرفين يشعل القتال ويوقده ، فكان قتال فتنة .

إذن : هذا القتال قتال فتنة لم يشارك فيه إلا النفر اليسير من الصحابة رضوان الله عليهم ، فكما أن الله سبحانه حفظ سيوفنا من هذه الفتنة فلنحفظ ألسنتنا منها ، وألا نخوض فيها إلا بحق .

قال المؤلف رحمه الله : [وهم على ذلك لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره . بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة . ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر . حتى أنهم يغفر لهم من السيئات مالا يغفر لمن بعدهم . لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم وقد ثبت بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم خير القرون]

كما قال عليه الصلاة والسلام : (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) متفق عليه .

قال المؤلف رحمه الله: [وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا ممن بعدهم]

والحديث متفق عليه .

المد وهو ربع الصاع .

فالصحابي يخرج مداً من الطعام هي خير من جبل أحد ذهباً ممن بعدهم . فحسناتهم مضاعفة رضي الله عنهم .

قال المؤلف رحمه الله : [ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه . أو أتى بحسنات تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم الذي هم أحق الناس بشفاعته . أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه . فإذا كان هذا في الذنوب المحققة فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا لهم أجر واحد والخطأ مغفور لهم]

إذا كان هذا في الذنوب المحققة أي لهم من الحسنات الماضية ، ولهم من الفضائل ولهم من شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم ما يكفر به ذنوبهم فكيف بالذنوب غير المحققة ، التي هم فيها مجتهدون مصيبون وإما مجتهدون مخطئون .

قال المؤلف رحمه الله : [ثم القدر الذي ينكر من فعلهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح . ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلهم وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله عز وجل]

قال ابن مسعود رضي الله عنه : (**إن الله نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد خير قلوب العباد فاصطفاه الله لنفسه وابتعثه لرسالته ، ثم نظر في قلوب العباد فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاختارهم الله وزراء لنبيه يقاتلون عن دينه فما رآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيء**) رواه أحمد بسند جيد .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [ومن أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات الأولياء وما يجرى الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات]

كرامات الأولياء هي ما يجريه الله على أيدي الأولياء من خوارق العادات .

والولي هو : المؤمن التقي قال تعالى : **﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون ﴾** وقد ذكر المؤلف رحمه الله أن الكرامات على نوعين :

النوع الأول : في باب المكاشفات والعلوم : منه أن عمر رضي الله عنه كُشف له وهو على منبر النبيﷺ في المدينة كُشف له سرية قد أرسلها وعليها رجل يقال له " سارية " وكان المخرج لهذه السرية أن يلزموا الجبل فنادى عمر وهو على المنبر : " يا سارية الجبلَ الجبلَ " يعني الزم الجبل ، وبلغ صوته رضي الله عنه سارية هذا من أنواع المكاشفات ومنها أيضاً أنه قال للنبي ﷺ يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيمُ مُصَلّى فنزل قوله تعالى: **﴿ واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى﴾** ، وقال لنساء النبي ﷺ " عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن " فنزلت الآية كذلك .

إذاً هذا النوع كرامة فهو يرى ما لا يرى غيره ، ويسمع من المخاطبات ما لا يسمعه غيره .

النوع الثاني : في باب القدرة والتأثير : ومنه قوله تعالى : **﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ﴾** يعني يجري عليه من القدرة ما لا يقدر عليه غيره كأن يمشي على ماء مثلاً هذا إن كان على يد ولي وهو المؤمن التقي وأما إن كان على أيدي المخالفين للسنة من المبتدعة كالمتصوفة فإنه أحوال شيطانية .

فإن قيل : ما هو الفرق بين الكرامة والأحوال الشيطانية ؟

فنقول : الكرامة ما يجري على يد المؤمن التقي ، والأحوال الشيطانية هي : التي تجري على أيدي المبتدعة من الضلال ، والفجرة ، ومن ذلك ما يكون على أيدي الكُهَّان والسحرة ونحوهم.

والكرامة ليست شرطاً في الولاية ، يعني لا يشترط في الولي أن تجري على يديه شيء من الكرامات ، بل أفضل الكرامة كما قال شيخ الإسلام : " أفضل الكرامة لزوم الاستقامة " أي قانتاً لربه منقاداً لأمره .

كما إن الكرامة لا تدل على أن الذي جرت على يديه أفضل من غيره ، أي قد تجري على يد المفضول ، ولذا فالمنقول عن التابعين في هذا أكثر من المنقول عن الصحابة ، وذلك لأن الكرامة تجري على يد الولي إما لتقوية إيمانه أو لإظهار فضله ، أو لكونه محتاجاً إليها كما جرت للمجاهدين.

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها]

أي أن الكرامات تجري حتى على الأمم السابقة .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر فرق الأمة وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة ثم من طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار رسول الله ﷺ باطناً وظاهراً]

فيتبعون آثاره ويتبعون سننه ظاهراً وباطناً .

أما في الظاهر فكأن يصلوا على صفة صلاته وأن يحجوا على صفة نسكه وهكذا .

وأما في الباطن ففي الإخلاص والخوف والرجاء وغير ذلك من أعمال القلوب ، والعمل لا يصح إلا بشرطين :

١- الإخلاص .

٢- المتابعة للنبي ﷺ .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار]

قال تعالى : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه ....** ﴾ فيتبعون سلف هذه الأمة من المهاجرين والأنصار ، قال ابن مسعود رضي الله عنه : (**من كان مُستناً فليستنَّ بمن مات فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة أولئك أصحاب محمد أبَّر هذه الأمة قلوباً وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، قوماً اختارهم الله لصحبة نبيه والقتال عن دينه**) .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال : (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة]

هذا الحديث رواه العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ قال : (**وعظنا الرسول عليه السلام موعظة بليغة وجلت منها القلوب ، وذرفت منها العيون ، فقلنا : يا رسول الله كأنها موعظة مودع فأوصنا قال : أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن تأمر عليكم عبد حبشي فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً** – هذا هو الداء – ثم ذكر الدواء فقال : **فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**) رواه الخمسة إلا النسائي .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ]

قال تعالى : ﴿ **ومن أصدق من الله قيلا** ﴾ وأن خير الهدي أي خير السيرة وخير النهج نهجه عليه الصلاة والسلام وضُبطت : (**وخير الهُدى**) يعني خير الإرشاد إرشاده عليه الصلاة والسلام والحديث في صحيح مسلم .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام الناس]

قال تعالى : ﴿ **لا تقدموا بين يدي الله ورسوله** ﴾ وقال : ﴿ **وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾ فأهل السنة والجماعة لا يقدمون بين يدي الله ورسوله، لكن لا يعني ذلك إلا يتفقهوا في كتب العلماء ويستنيروا بأقوالهم وأن يتخيروا منها أقربه للصواب هذا في المجتهد أما غير المجتهد ففرضه التقليد .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد ، ولهذا سُموا أهل الكتاب والسنة وسُموا أهل الجماعة لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة إن كان اسم الجماعة قد صار اسماً لنفس القوم المجتمعين]

قال عليه الصلاة والسلام فيما رواه الإمام أحمد : (**الجماعة رحمة والفرقة عذاب**) وقال كما في الترمذي : (**وعليكم بالجماعة فإن يد الله مع الجماعة**) وقال الله تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا** ﴾ وقال : ﴿ **ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً** ﴾ فمن شعارات أهل السنة والجماعة الحرص على الاجتماع ونبذ الفرقة في الدين .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة – الكتاب والسنة والإجماع – **جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين]**

كل عمل ، وكل سلوك ، وكل اعتقاد ، نزنه بهذه الأصول الثلاثة : الكتاب والسنة والإجماع فإن كان حقاً قبلناه وإن كان باطلا رددناه .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشر في الأمة]

فالإجماع الذي ينضبط هو الذي كان في وقت الصحابة لأن الصحابة كانوا محصورين في أقاليم محصورة فمعرفة الإجماع متيسرة ، وأما وقد تفرق العلماء في البلدان ، فإن حكاية الإجماع فيها عسر .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [فصل : ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة]

فليس أهل السنة والجماعة أهل اعتقاد فقط بل هم أمارون بالمعروف نهاؤن عن المنكر قال تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر** ﴾ وقال : (**كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر**) وقال عليه السلام فيما رواه مسلم في صحيحه : (**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**) وفي حديث آخر عند مسلم : (**وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان**) المراد بذلك : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالضوابط الشرعية . فإن كان هناك مفسدة تترتب على الإنكار ، هي أكبر من مفسدة المنكر ، فلا يجوز الإنكار بل هذا لا تجيزه الشريعة، ولذا فإن الذي ينكر المنكر لابد وأن يكون ذا علم ورفق وصبر .

١- فلابد أن يكون عنده علم يعرف الحلال والحرام ، وأن يكون عنده تمييز بين درجات ما حرمه الله ، فمثلاً يُفرِّق بين الغناء وبين ضرب الدف للرجال في الأفراح ، فالغناء اتفقت

المذاهب على تحريمه والنصوص دالة على ذلك فيجب إنكارها ، بينما ضرب الدف للرجال في الأفراح مسألة اجتهادية اختلف فيها أهل العلم ، والمشهور في مذهب الإمام أحمد جواز ذلك ، ونحو ذلك .

٢- وأن يكون رفيقاً ذا رحمة بالناس .

٣- وأن يكون ذا صبر كما قال تعالى عن لقمان : **﴿ يا بُني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وأنه عن المنكر واصبر على ما أصابك ﴾** .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمـــراء أبـــراراً كانوا أو فجاراً]

فأهل السنة يرون إقامة الجمع والجماعات مع الأمراء سواء ، كان الأمراء أبراراً أو فجاراً .

ومن أصول أهل السنة والجماعة السمع والطاعة لولاة الأمر " الأئمة " .

والإمامة ("هي سياسة الناس في دينهم ودنياهم بالشرع المطهر ") ولا قيام للناس إلا باجتماع ولا اجتماع إلا برئيس فإذا كانوا متفرقين طمع فيهم أعداؤهم

ولابد من رئيس ولذا روى أبو داود في سننه أن النبي ﷺ قال : (**إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم**) فإذا كان الثلاثة في السفر يؤمرون بذلك فأولى من ذلك الإمرة الشرعية وقد قال بعض أهل العلم : (ستون سنة مع الإمام جائر خير من ليلة بلا إمام) .

قال شيخ الإسلام معلقاً على هذه الجملة : " والتجربة تبين ذلك " .

قال الإمام أحمد : " من خرج على الإمام فهو مبتدع " . وقال ذلك أيضاً علي بن المـــديني وقـــال البربهاري رحمه الله : (" من خرج على إمام من أئمة المسلمين فهو خارجي قد شق عصا الطاعة فميتته ميتة جاهلية ") والأدلة من الكتاب والسنة متواترة بذلك قال تعالى : **﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾** وأولوا الأمر هم العلماء والأمراء فالعلماء يبلغون الشرع والأمراء ينفذونـــه وقال عليه السلام فيما ثبت في الصحيحين : (**على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره مـــا لم يؤمر بمعصية فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**) وهذا الحديث لم يستثن فيه النبي ﷺ إلا أن يؤمر بمعصية ، فدل على أن المسائل الاجتهادية يطاع فيها ولاة الأمر، وكذلك الأنظمة التي يكون فيها مصالح كأنظمة المرور وغيرها فهذه الأنظمة يسمع ويطاع لولاة الأمر فيها .

وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : (**بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وعلى أثرة علينا** – يعني وإن كانوا يؤثرون أنفسهم فإنا نسمع ونطيع – **وأن لا ننازع الأمر أهله إلا أن نزوا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان**) ولذا حكى النووي رحمه الله إجماع أهل العلم على أنه لا يجوز الخروج على الحاكم ولا عزله ، وإن كان ظالماً جائراً .

وقال عليه السلام فيما ثبت في الصحيحين : (**اسمع وأطع وإن أخذ مالك وضرب ظهرك**) وقال فيما رواه مسلم : (**إنه يُستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون فمن أنكر فقد برئ ومن رضي فقد سلم ولكن من رضي وتابع**)

إذ السمع والطاعة لولاة الأمر أصل من أصول أهل السنة والجماعة وهم أيضاً في هذا الباب يدعون لولاة الأمر بالتوفيق والتسديد كما قال الإمام أحمد : (إني لأدعو لهم بالتوفيق والتسديد والتأييد وأرى ذلك حقاً علي) وقال أيضاً وقد نقل هذا أيضاً عن الفضيل بن عياض : (لو كان لي دعوة مستجابة لجعلتها للإمام) كما أنهم لا يشتغلون بمثالبهم ، ولا بالوقيعة في أعراضهم ، لأن في ذلك شراً . وقد يجرُّ ذلك إلى الخروج عليهم وسفك الدماء ، هذا دين فالواجب على المسلم أن يتدين به ونحن – والحمد لله – في هذه البلد الناس فيها أهل سمع وطاعة بل إن هذا ولله الحمد والمنة من مآثر هذه منذ زمن بعيد . فإن أول زكاة سيقت لأبي بكر الصديق هي زكاة قبيلة طي ومعلوم أن المرتدين من العرب كانوا هم أكثر العرب ، فلم يبق إلا قريش والأنصار وطي وقد تبعوا عدي بن حاتم رضي الله عنه فكانت أول زكاة سيقت إلى أبي بكر.

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [ويحافظون على الجماعات ويدينون بالنصيحة للأمة]

فهم لا يغشون الأمة بل ينصحون لها ولذا كان النبي ﷺ يبايع أصحابه على النصح لكل مسلم كما ثبت في البخاري عن جرير بن عبدالله رضي الله عنه .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [ويعتقدون معنى قوله ﷺ : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه)]

فأهل السنة عندهم تواد مع إخوانهم المؤمنين في مشارق الأرض ومغاربها ، فإذا أصيب المسلمون بمصيبة في ثَغر من الثغور فإنهم يغيثونهم بالمال وبالأنفس وبحسب مقدورهم فالمؤمن للمؤمن كالبنيان .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وقوله ﷺ : (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر) ويأمرون بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بُمَر القضاء ويدعون إلى مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال ويعتقدون معنى قوله ﷺ

: (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً) ويندبون إلى أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ويأمرون ببر الوالدين وصلة الأرحام وحسن الجوار والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل والرفق بالمملوك وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق ويأمرون بمعالي الأخلاق وينهون عن سفاسها]

جملة هذا أن أهل السنة والجماعة يدعون إلى مكارم الأخلاق وإلى الآداب وإلى القيم وإلى محاسن العادات ويتمثلون بالأخلاق الطيبة .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا وغيره فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاثة وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة . وفي حديث عنه أنه قال : (هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي) صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون وفيهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى – أي مصابيح الظلمة – أولوا المناقب المأثورة والفضائل المذكورة وفيهم الأبدال]

أي مناقبهم مشهورة كمالك وأحمد ، والأبدال هم الذين : إن ماتوا أبدل الله عز وجل الناس مثلهم ، يقومون بالحجة ويدعون الناس إلى الخير ، وقد روي أنهم أربعون رجلاً ، وأنهم في الشام ، وأن الناس بهم يسقون ، وبهم يُنصرون لكن الحديث لا يصح .

قال شيخ الإسلام : ولا يصح حديث في الأبدال ، لكن الأبدال في هذه الأمة موجودون فقد قال ﷺ : (**لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة**) ولذا لما سئل الإمام أحمد عن الأبدال قال : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أعلم لله أبدالا أي الذين يتمسكون بالسنة ، إذن لم يصح حديث في هذه التسمية الأبدال .

قال المؤلف رحمه الله تعالى : [وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة)] .

والله أعلم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين